المسيحيّة في الجزيرة العربية قبل الإسلام

CHRISTIANITY IN ARABIA PRIOR TO ISLAM

www.muhammadanism.org
November 30, 2006
Arabic

من «**المفصَّل في تاريخ الَعرب قبل الإِسْلامِ** ــ الجُزءُ السَّادس»،
الفصول ٧٩ ــ ٨٢، الصفحات ٥٨٢ ــ ٦٩٠.
From "THE COMPREHENSIVE HISTORY OF ARABS PRIOR TO ISLAM –VI,"
Sections 79-82, pp. 582-690.

الَدُّكتُور جوَّاد عَلي
DR. JAWĀD 'ALI

مَشورات الشريف الرضى
سنة الطبع ١٣٨٠

الفصل التاسع والسبعون

النصرانية بين الجاهليين

ولم تكن اليهودية، الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً إلى جزيرة العـــرب، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها إلى العرب، هي الديانة النصرانية. وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى، لأنها قامت بعدها، ونشأت على أسسها ومبادئها، ولكنها كانت أوســـع أفقاً وتفكيراً من الأولى. فبينما حبست اليهودية نفسها في بني إسرائيل، وجعلت إلهها إلَه بنـــي إسرائيل شعب الله المختار، جعلت النصرانية ديانتها ديانة عالميةً جاءت لجميع البشر. وبينمـــا قيّدت اليهودية أبنائها بقيود تكاد تضبط حركاتهم وسكناتهم، وفرضت عليهم فروضاً ثقيلة، نجد النصرانية أكثر تساهلاً وتسامحاً، فلم تقيد أبنائها بقيود شديدة، ولـــم تفـــرض علـــيهم أحكامـــاً اشترطت عليهم وجوب تنفيذها. وقد قام رجال الدين النصارى منذ أول نشأتها بالتبشـــير بهـــا، وبنشرها بين الشعوب، وبذلك تميزت عن اليهودية التي جمدت، واقتصرت على بني إسرائيل.

ولفظة (النصرانية) و(نصارى) التي تطلق في العربية على أتباع المسيح، من الألفـــاظ المعربة. يرى بعضى المستشرقين أنّها من أصـــل ســـرياني هـــو: (نصـــرويو) Nosroyo، (نصرايا) Nasraya [1]، ويرى بعضٌ آخر أنّها من Nazerenes التّسمية العبرانية التي أطلقهـــا اليهود على من اتّبع ديانة المسيح. وقد وردت في

---

[1] غرائب اللغة (ص ٢٠٧)، Ency. , III, p. 848.

في العهد الجديد في (أعمال الرسل) حكاية على لسان يهود[١]. ويرى بعض المؤرخين أن لها صلةً (بالناصرة) التي كان منها (يسوع) حيث يُقال: (يسوع الناصري) أو أنّ لها صلة بـ (الناصريين) Nasarenes = Nazarenes إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة. وقد بقي اليهود يطلقون على من اتّبع ديانة المسيح (النصارى)، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين.

ولعلماء اللغة الإسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلاً. وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نُسب اليها المسيح[٢]. وزعم بعض منهم أنها نسبة إلى قرية يُقال لها (نصران)، فقبل نصراني وجمعه نصارى[٣]. وذُكر أن (النصرانة) هي مؤنث النصراني[٤].

ولم أعثر حتى الآن على نص جاهلي منشور وردت فيه هذه التسمية. أما في الشعر الجاهلي، وفي شعر المخضرمين، فقد ذُكر ان أمية بن أبي الصلت ذكرهم في هذا البيت:

أيام يلقى نصاراهم مسيحهم والكائنين له وداً وقربانا[٥]

وذكر أنّ شاعراً جاهلياً ذكر النصارى في شعر له، هو:

اليكَ تعدو قلقا وضينها معترضاً في بطنها جنينها
مخالفاً دين النصارى دينها

---

[1] أعمال الرسل: الإصحاح ٢٤، الآية ٥ « فإننا إذّ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين »، Ency. Relig. Ethic. , III, p. 574.

[2] اللسان (٧/ ٦٨)، تاج العروس (٣/ ٥٦٨)، (نصر).

[3] المفردات، للأصفهاني (ص ٥١٤).

[4] فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما أسجدت نصرانة لم تحنف
اللسان (٧/ ٦٨)، (نصر)، « والنصرانية واحدة النصارى »، تاج العروس (٣/ ٥٦٩)، (نصر).

[5] النصرآنية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٨٧).

وذُكر أنّ جابر بن حُنيّ قال:

وقد زعمت بهراء أنّ رماحنا رماح نصارى لا تخوض إلى دم[1]

وأنّ حاتماً الطّائي قال في شعر له:

ومازلت أسعى بين نابٍ ودارة بلحيانَ حتى خفت أن أتنصرا[2]

وأنّ (طخيم بن أبي الطخماء) قال في شعر له في مدح بني تميم:

وإنّي وإنْ كانوا نصارى أحبهّم ويرتاح قلبى نحوهم ويُتَوَّق[3]

وأنّ حسان بن ثابت قال:

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد[4]

غير أنّ هذه الأبيات وأمثالها إنْ صح أنها لشعراء جاهليين حقاً، هي من الشعر المتأخر الذي قيل قبيل الإسلام. أما قبل ذلك، فليس لنا علم بما كان العرب يسمّون به النصارى من تسميات.

والذي نعرفه أن قدماء النصارى حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون (تلاميذ) Disciples، و(تلاميذ المسيح)، ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى المسيح نظرتهم إلى معلم يعلمهم[5] وكذلك نظروا إلى حوارييه، فورد (تلاميذ يوحنا) وقصدوا بذلك النصارى[6]. وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعملها النصارى للتعبير عن أنفسهم.

كذلك دعا قدماء النصارى جماعتهم بـ (الاخوة) وبـ (الاخوة في الله) Brethren in Lord للدلالة على الجماعة، وبـ (الأخ) للتعبير عن المفرد،

---

[1] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٧١، ٢٢٥)، شعراء النصرانية (١٩٠)، المشرق، السنة السابعة ١٩٠٤، (٦٢٠ وما بعدها).
[2] الأغاني (١٠٤/١٦)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (١٧١، ٢٢٥).
[3] المشرق، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠ وما بعدها).
[4] ديوان حسان (٢٤).
[5] Hastings, p. 192.
[6] إنجيل مرقس: الإصحاح الثاني، الآية ١٨.

ذلك لأن العقيدة قد آخت بينهم، فصار النصارى كلهم إخوة في الله وفي الدين[١]. ثم تخصصت كلمة (الأخ) برجل الدين[٢]. ودعوا أنفسهم (القديسين) Saints[٣] والمؤمنين[٤] والمختارين الأصفياء والمدعوّين، ويظهر أنها لم تكن علمية، وإنما وردت للأشارة إلى التسمية التي تليها.

وقد كنى عن مجتمع النصارى بـ (الكنيسة) Ecclesia وتعني (المجمع) في الإغريقية، بمعنى المحل الذي يجتمع فيه المواطنون. فكنى بها عن المؤمنين وعن الجماعة التابعة للمسيح. كما عبر عن النصارى بـ (الفقراء) وبـ (الأصدقاء) [5].

وقد عرف النصارى بـ Christians نسبةً إلى Christos اليونانية التي تعني (المسيح) Messiah، أيْ المنتظر المخلص الذي على يديه يتم خلاص الشعب المختار. ويسوع هو المسيح، أي المنتظر المخلص الذي جاء للخلاص كما جاء في عقيدة أتباعه، ولذلك قيل لهم أتباع المسيح. فأطلقت عليهم اللفظة اليونانية، وعُرفوا بها، تمييزاً لهم عن اليهود. وقد وردت الكلمة في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس[٦].

أما في القرآن الكريم وفي الأخبار، فلم ترد هذه اللفظة اليونانية الأصل. ولهذا نجد أن العربية اقتصرت على إطلاق (نصارى) و(نصراني) و(نصرانية) على النصارى تمييزاً لهم عن أهل الأديان الأخرى. أما مصطلح (عيسوي) و(مسيحي)، فلم يُعرفا في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي، فهما

---

[1] Hastings, p. 104.

[2] أعمال الرسل، الإصحاح الأول، الآية ١٥ وما بعدها، Ency. Reli. Ethic. , 3, p. 573.

[3] رسالة بولس الرسول، الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس، الإصحاح الأول، الآية الأولى ما بعدها.

[4] أعمال الرسل: الإصحاح الخامس، الآية ١٤، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول، الآية الأولى وما بعدها.

[5] Ency. Reli. Ethic. , 3, p. 574 .

[6] أعمال الرسل: الإصحاح الحادي عشر: الآية ٢٦، الإصحاح ٢٦، الآية ٢٨، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس: الإصحاح الرابع، الآية ١٦، Hastings, p. 127.

من المصطلحات المتأخرة التي أطلقت على النصارى[1]. وقد قصد في القرآن الكريم بـ (أهل الإنجيل) [2] النصارى، إذ لا يعترف اليهود بالإنجيل. وقد أدخل علماء اللغة اللفظة في المعربات[3].

وأهم علامة فارقة ميزت نصارى عرب الجاهلية عن العرب الوثنيين، هي أكل النصارى للخنازير، وحملهم الصليب وتقديسه. ورد أنّ الرسول قال لراهبيْن أتياه من نجران ليبحثا فيما عنده: « يمنعكما عن الإسلام ثلاث: أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد »[4]. وورد أنه رأى (عدي بن حاتم الطائي) وفي عنقه صليب من ذهب، لأنه كان على النصرانية[5].

وورد في شعر ذي الرّمة:

ولكنَّ أصل امرىء القيس معشرٌ   يحل لهم أكل الخنازير والخمر[6]

يريد أنّهم نصارى في الأصل، فهم يختلفون عن المسلمين في أكلهم لحم الخنزير وفي شربهم الخمر.

وقد أقسم النصارى بالصليب. هذا (عدي بن زيد) يحلف به في شعر ينسب اليه، فيقول:

سعى الأعداء لا يألون شراً   عليك ورب مكة والصليب[7]

ليس في استطاعتنا تعيين الزمن الذي دخلت فيه النصرانية إلى جزيرة العرب. وتحاول مؤلفات رجال الكنائس رد ذلك التاريخ إلى الأيام الأولى من التأريخ النصراني[8]، غير أننا لا نستطيع اقرارهم على ذلك، لأن حججهم في ذلك غير

---

[1] Hughes, Dictionary of Islam, p. 431.

[2] المائدة، الآية ٤٧.

[3] النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٣٦)، المعرب، للجوالقي (٢٣).

[4] البلاذري (٧١).

[5] اللسان (١٣/٤٤٣)، (وثن)، السيوطي، الدرر المنثور (١٠/ ٧٥).

[6] النصرانية (٧٥).

[7] شيخو، شعراء النصرانية (٤٥١).

[8] النصرانية وآدابها، القسم الأول، تأليف لويس شيخو، بيروت، ١٩١٢م.

كافية للاقناع. ولذلك، فليس من الممكن تثبيت تأريخ لانتشارها في هذه الأماكن في الزمن الحاضر، وليس لنا إلاّ التفتيش عن أقدم الوثائق المكتوبة للوقوف عليها بوجه لا يقبل الشك ولا التأويل. ونحن أمام بحث علمي، يجب أن تكون العاطفة بعيدة عنه كل البعد.

واذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة، فإنّ دخول النصرانية اليها كان بالتبشير وبدخول بعض النساك والرهبان اليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، وبالتجارة، وبالرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة. أما هجرة نصرانية كهجرة يهود إلى الحجاز أو اليمن أو البحرين، فلم تحدث، ذلك لأن النصرانية انتشرت في إمبراطورية الروم والساسانيين بالتدريج، ثم صارت ديانة رسمية للقياصرة والروم وللشعوب التي خضعت لهم، فلم تظلّ النصرانية أقلية هناك، لتضطر إلى الهجرة جماعة وكتلة إلى بلد غريب. لذلك كان حديثنا عن نصارى العرب من حيث الأصل والأرومة، يختلف عن حديثنا عن أصل يهود اليمن أو الحجاز.

وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم ومن وقوف على الطب والمنطق ووسائل الإقناع وكيفية التأثير في النفوس، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل فأدخلوهم في دينهم، أو حصلوا منهم على مساعدتهم وحمايتهم. فنسب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصر إلى مداواة الرهبان لهم ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم مما كانوا يشكون منه من أمراض. وقد نسبوا ذلك إلى فعل المعجزات والبركات الإلهية، وذكر بعض مؤرخي الكنيسة أن بعض أولئك الرهبان القديسين شفوا بدعواتهم وببركات الربّ النساء العقيمات من مرض العقم فأولدن أولاداً، ومنهم من توسل إلى الله أن يهب لهن ولداً ذكراً، فاستجاب دعوتهم، فوهب لهم ولداً ذكراً، كما حدث ذلك لضجعم سيد الضجاعمة، اذْ توسل أحد الرهبان إلى الله أنْ يهب له ولداً ذكراً، فاستجاب له. فلما رأى ضجعم ذلك، دخل في دينه وتعمّد هو وأفراد قبيلته[1]. ومنهم من شفى بعض الملوك العرب من أمراض كانت به مثل (مارايشو عزخا) الراهب. ذكروا أنه شفى النعمان ملك الحيرة من مرض عصبي ألم به، وذلك بإخراجه الشيطان

[1] النصرانية وآدابها (١/ ٣٥)، Sozomene, Hist. Eccl. , VI, 38.

من جسده[١].

وفي تواريخ الكنيسة قصص عن أمثال هذه المعجزات المنسوبة إلى القديسين، كالتي نسبوها إلى القديس (سمعان العمودي) (المولود نحو سنة ٣٦٠م) يذكرونها على أنها كانت سبباً في هداية عدد من الأمراء وسادات القبائل إلى النصرانية، وبفضل تنصرهم دخل كثير من أتباعهم في هذا الدين[٢]. وكالتي نسبوها إلى القديس (أفتميوس) الذي نصر بفضل هذه المعجزات جمعاً من الأعراب وأسكنهم في أماكن خاصة أنشأ فيها كنائس أطلق عليها في اليونانية ما معناه (المحلة) أو (المعسكر) [٣].

ولم يعبأ المبشرون بالمصاعب والمشقات التي كانوا يتعرضون لها، فدخلوا مواضع نائية في جزيرة العرب، ومنهم من رافقوا الأعراب، وعاشوا عيشتهم، وجاروهم في طراز حياتهم، فسكنوا معهم الخيام، حتى عرفوا بـ (أساقفة الخيام) وبـ (أساقفة أهل الوبر)، وبأساقفة القبائل الشرقية المتحالفة وبأساقفة العرب البادية. وقد ذكر أن مطران (بصرى) كان يشرف على نحو عشرين أسقفاً انتشروا بين عرب حوران وعرب غسان وقد نعتوا بالنعوت المذكورة، لأنهم كانوا يعيشون في البادية مع القبائل عيشة أهل الوبر[٤].

وقد دخل أناس من العرب بالنصرانية باتصالهم بالتجار النصارى وبمجالستهم لهم. روي أن رجلاً من الأنصار، يُقال له (أبو الحصين)، كان له ابنان، فقدم تجار من الشأم إلى المدينة يحملون الزيت، فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا، أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية، فتنصرا فرجعا إلى الشأم معهم[٥].

ودخلت النصرانية جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج، هي تجارة الرقيق من الجنسيْن، فقد كان تجار هذه المادة المهمة الرابحة يستوردون بضاعتهم من أسواق عالمية مختلفة، ولكن أثمن هذه البضاعة وأغلاها هي البضاعة المستوردة من إمبراطوريتي الرّوم والفرس، لمميزات كثيرة امتازت بها عن الأنواع المستوردة

---

[1] الديورة في مملكتيْ الفرس والعرب، للقس بولس شيخو (ص ٣٢، ٤٧).
[2] النصرانية وآدابها (١/ ٨١ وما بعدها).
[3] المشرق: السنة الثانية عشرة، الجزء ٥، آذار (١٩٠٩م)، (ص ٣٤٤ وما بعدها).
[4] النصرانية (١/ ٣٧).
[5] تفسير الطبري (٣/ ١٠)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠ وما بعدها).

من إفريقية مثلاً. فقد كان صنفها من النوع الغالي الممتاز بالجمال والحسن والاتقان ثم بالابتكار وبالقيام بأعمال لا يعرفها من هم من أهل إفريقية. ومن الروميّات والصقليات والجرمانيات من صرن أمهات لأولاد عدوا من صميم العرب. وقد كان أكثرهن، ولا سيما قبيل ظهور الإسلام، على النصرانية. ومن بينهن من خلدت أسماؤهن لتتحدث للقادمين من بعدهم من الأجيال عن أصولهن في العجم وعن الدين الذي كنّ عليه.

وقد كان في مكة وفي الطائف وفي يثرب وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب رقيق نصراني كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في التوراة والأناجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانياً ويتحدث إليهم عن النصرانية، ومنهم من تمكن من إقناع بعض العرب في الدخول في النصرانية، ومنهم من أثر على بعضهم، فأبعده عن الوثنية، وسفه رأيها عندهم، لكنهم لم يفلحوا في إدخالهم في دينهم، فبقوا في شك من أمر الديانتيْن، يرون أنّ الحق في توحيد الله وفي اجتناب الأوثان، لكنّهم لم يدخلوا في نصرانية، لأنها لم تكن على نحو ما كانوا يريدون من التوحيد وتحريم الخمر وغير ذلك مما كانوا يبتغون ويشترطون.

وقد أثرت الأديرة تأثيراً مهماً في تعريف التجار العرب والأعراب بالنصرانية. فقد وجد التجار في أكثر هذه الأديرة ملاجىء يرتاحون فيها ومحلات يتجهزون منها بالماء، كما وجدوا فيها أماكن للهو والشرب: يأنسون بأزهارها ويخضرة مزارعها التي أنشأها الرهبان، ويطربون بشرب ما فيها من خمور ونبيذ معتق امتاز بصنعه الرهبان. وقد بقيت شهرة تلك الأديرة بالخمور والنبيذ قائمة حتى في أيام الإسلام. ومن هؤلاء الرهبان ومن قيامهم بشعائرهم الدينية، عرف هؤلاء الضيوف شيئاً عن ديانتهم وعما كانوا يؤدونه من شعائر. وقد أشير إلى هؤلإء الرهبان الناسكين في الشعر الجاهلي، وذكر عنهم أنهم كانوا يأخذون المصابيح بأيديهم لهداية القوافل في ظلمات الليل[1].

وقد كانت هذه الأديرة، وهي بيوت خلوة وعبادة وانقطاع إلى عبادة الله والتفكير فيه، مواطن تبشير ونشر دعوة. وقد انتشرت حتى في المواضع القصية من البوادي. واذا طالعنا ما كتب فيها وما سجله أهل الأخبار أو مؤرخو الكنائس

---

[1] Wellhausen, Reste, S. 232.

عن أسمائها، نعجب من هذا النشاط الذي عرف به الرهبان في نشر الدعوة وفي إقامة الأديرة للإقامة فيها في مواضع لا تستهوي أحداً. وهي متقاربة عديدة في بلاد العراق وفي بلاد الشأم. بل نجد لها ذكراً حتى في الحجاز ونجد وفي جنوبي جزيرة العرب وشرقيها: تتلقى الإعانات من كنائس العراق والشأم ومن الروم، حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل. ولولا ظهور الإسلام ونزول الوحي على الرسول في الحرمين، لكان وجه العالم العربي ولا شك غير ما نراه الآن. كان العرب على دين النصرانية وتحت مؤثرات ثقافية أجنبية، هي الثقافة التي اتسمت بها هذه الشيع النصرانية المعروفة حتى اليوم.

وقد ذكر (ابن قتيبة الدينوري): أن النصرانية كانت في ربيعةَ، وغسان، وبعض قضاعة[1]. وقال (اليعقوبي): « وأما من تنصر من أحياء العرب، فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزّى، وورقة بن نوفل بن أسد. ومن بني تميم: بنو امرىء القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة: بنو تغلب، ومن اليمن: طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم »[2].

وطبيعي أن يكون انتشار النصرانية في العرب ببلاد الشأم واضحاً ظاهراً أكثر منه في أي مكان آخر. وأقصد ببلاد الشأم ما يقصده علماء الجغرافيا العرب من هذا المصطلح. فقد كان لعرب هذه الديار علاقة مباشرة واتصال ثقافي بغيرهم من سكان هذه الأرضين الذين دخل أكثرهم في الديانة النصرانية، والذين صارت هذه الديانة ديانة بلادهم الرسمية بعد دخول الروم فيها واتخاذهم النصرانية ديناً رسمياً للدولة منذ تنّصر أوّل قيصر من القياصرة، فكان من أولى واجبات الروم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم، لا تقرباً إلى الله وحده، بل لتمكين سلطانهم عليهم، وإخضاعهم روحياً لهم. ولهذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية بين أتباعها وفي الخارج وإرسال المبشرين والاغداق عليهم ومدهم بالأموال لنشر الدعوة وتأسيس مكاتب للتبشير، وبالفعلة لبناء الكنائس الفخمة الجميلة على طراز فني أنيق جميل غير معروف بين من سيبشر بهذا الدين بينهم. وبذلك تبهر عقولهم، فتشعر أن للدين الجديد مزايا ليست في دينهم، وأن معابده أفخم من

---

[1] المعارف (٦٢١)، البدء والتأريخ (٤/ ٣١)، الأعلاق النفيسة (٢١٧).
[2] اليعقوبي (١/ ٢٢٧).

معابدهم، ورجال دينه أرقى من رجال دينهم. وبذلك يأتون اليها. وللبهرجة والفخفخة أثر عظيم في كثير من الناس، فالعين عند أكثر البشر، تقوم مقام العقل. وقد يكون ما قام به الأحباش في اليمن من إنشاء الكنائس العظيمة فيها وتفننهم في تزويقها وتجميلها وفي فرشها بأفخر الرياش والفراش لصرف الناس عن الكعبة كما يزعم أهل الأخبار دليلاً على ما أقول.

وقد وجدت النصرانية لها سبيلاً بين عرب بلاد الشأم وعرب بادية الشأم والعراق. فدخلت بين (سليح)، و(الغساسنة)، و(تغلب)، و(تنوخ)، و(لخم)، و(إياد) [1]. وقد انتشرت بين عرب بلاد الشأم بنسبة تزيد على نسبة انتشارها بين عرب بلاد العراق، وهو شيء طبيعي، فقد كانت بلاد الشأم تحت حكم البيزنطيين، وديانتهم الرسمية، هي الديانة النصرانية، وكانوا يعملون على نشرها وترويجها بين شعوب (إمبراطوريتهم)، وبين الشعوب الأخرى، لا سيما الشعوب التي لهم مصالح اقتصادية معها. ففي نشر النصرانية بينهم وإدخالهم فيها، تقريب لتلك الشعوب منهم، وتوسيع لنفوذهم السياسى بينهم، وتقوية لمعسكرهم المناهض لخصومهم الفرس، أقوى دولة معادية لهم في ذلك الوقت. ولهذا سعت القسطنطنية لإدخال عربهم في النصرانية، وعملت كل ما أمكنها عمله للتأثير على سادات القبائل لإدخالهم في دينهم، بدعوتهم لزيارة كنائسهم وبارسال المبشرين اللبقين اليهم، لاقناعهم بالدخول فيها، وبإرسال الأطباء الحاذقين اليهم لمعالجتهم، وللتأثير عليهم بذلك في اعتناق النصرانية. كما دعوهم لزيارة العاصمة، لمشاهدة معالمها ولإبهار عقولهم بمشاهدة كنائسها، والاتصال بكبار رجال الدين فيها، لتعليمهم أصول النصرانية. وأظهروا لهم مختلف وسائل المعونة والمساعدة إن دخلوا في ديانتهم، وبذلك أدخلوهم في النصرانية فصاروا إخواناً للروم في الدين.

نعم، دخل سادات القبائل والحكام العرب التابعون لهم في هذه الديانة، فصاروا نصارى، ولكنهم لم يأخذوا نصرانية الروم، بل أخذوا نصرانية شرقية مخالفة لكنيسة (القسطنطنية)، فاعتنقوها مذهباً لهم. وهي نصرانية عدت (هرطقة) وخروجاً على النصرانية الصحيحة (الأرثوذكسية) في نظر الروم. نصرانية متأثرة

[1] اليعقوبي (١/ ٢٢٧)، (أديان العرب).

بالتربة الشرقية، وبعقلية شعوب الشرق الأدنى، نبتت من التفكير الشرقي في الدين، ولهذا تأثرت بها عقلية هذه الشعوب فانتشرت بينها، ولم تجد لها إقبالاً عند الروم وعند شعوب أوروبة. وكان من جملة مميزاتها عكوفها على دراسة العهد القديم، أي التوراة، أكثر من عكوفها على دراسة الأناجيل[1].

والنصرانية التي شاعت بين عرب بلاد الشأم، هي النصرانية اليعقوبية، أو المذهب اليعقوبي بتعبير أصح. وهو مذهب اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له، ودافعوا عنه، وجادوا رجال الدين في القسطنطنية وفي بلاد الشأم في الذب عنه. فزعم مثلاً أن (الحارث بن جبلة) (ملك العرب النصارى) تغلب في مناظرة جرت له مع (البطريرك افرام) (٥٢٦ ــــ ٥٤٥م) على (البطريرك) وأفحمه في جوابه. وكان افرام، وهو على مذهب (الملكيين)، قد قصده لاقناعه بترك المذهب (المنوفيزيتي) والدخول في مذهبه[2]. ونسبوا إلى (المنذر بن الحارث) دفاعاً شديداً عن (المنوفيزيتية)، أي المذهب الذى كان عليه الغساسنة من مذاهب النصرانية، وذكروا أنه أنب (البطريرك دوميان) وهو في القسطنطنية على تهجمه على (المنوفيزيتيين)، وعمل جهده في التقريب بين مذهبه ومذهب القيصر، واتصل بالقيصر (طيباريوس) (٥٧٨ ــ ٥٨٢م) ليعمل على بث روح التسامح بين المذاهب النصرانية وترك الحرية للأفراد في دخول المذهب الذي يريدونه والصلاة في أية كنيسة يريدها النصراني[2].

ويظهر أن بعض الضجاعمة الذين كانوا يتولون حكم عرب الشأم قبل الغساسنة كانوا على دين النصرانية. غير أننا لانستطيع أن نحكم على أي مذهب من مذاهب النصرانية كانوا. فذكروا أن (زوكوموس)، وهو (ضجعم) جد الضجاعمة تنصر على يد أحد الرهبان، وذلك أن هذا الرئيس كان متلهفاً إلى مولود ذكر، فجاءه هذا الراهب، وتضرع إلى الله أن يهبه ولداً ذكراً، فلما استجاب الله له تعمدّ وتبعته قبيلته[3].

---

[1] Nöldeke, Geschichte des Qorāns, I, S. 7.

[2] المشرق، السنة الرابعة والثلاثون، كانون الثاني ــ آذار، ١٩٣٦ (ص ٦١ وما بعدها).

[3] النصرانية (١/ ٣٥).

وقد كان مشهد القديس (سرجيوس) في (الرصافة)، من أهم المزارات التي تقصدها المتنصرة من عرب الشأم، مثل الغساسنه وتغلب. وقد تقرب إليه بعض ملوك الغساسنة بتقديم الهدايا والنذور إليه وبتزيينه وبزيارته، وبالاعتناء بالمدينة وبصهاريجها تكريماً له، وتقرباً اليه، وظل هذا المزار مقصوداً مدة في الإسلام. وقد عدّ التغلبيون هذا القديس شفيعهم، جعلوا له راية حملوها معهم في الحروب، وكانوا يحملونها مع الصليب تبركاً وتيمناً بالنصر[١].

وكان حاضر (قنسرين) لتنوخ. أقاموا في طرفها هذا منذ زمن قديم، مذ أول نزولهم بالشأم. نزلوا في طرفها وتنصروا. فلما حاصر (أبو عبيدة) المدينة، دعاهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم، وأقام على النصرانية بنو سليح. كذلك كان في طرف قنسرين عشائر من طيء، نزلوا بها في الجاهلية على أثر الحروب التي وقعت فيما بينهم، واستدعت تفرقهم، فأقاموا عند قنسرين مع القبائل العربية الأخرى التي جاءت إلى هذا المكان[٢].

وكان بقرب مدينة (حلب) حاضر يدعى (حاضر حلب) يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم. فلما جاء (أبو عبيدة) إلى المدينة، صالح من فضّل البقاء منهم على دينه على الجزية، ثم أسلم الكثير منهم فيما بعد[٣].

وتعد بهراء في جملة القبائل العربية المتنصرة عند ظهور الإسلام. تنصرت كما تنصرت غسان وسليح وتنوخ وقوم من كندة، وذلك لنزولها في بلاد الشأم ولاتصالها بالروم[٤].

---

[1] قال الأخطل:

لما رأونا، والصليب طالعا، ومار سرجيس، وسما ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعا خلوا لنا راذان والمزارعا

فأجابه جرير:

أفبالصليب وما سرجيس تتقي شهباء ذات مناكب جمهورا

وقال:

يستنصرون بمار سرجيس وابنه بعد الصليب وما لهم من ناصر

المشرق، السنة الرابعة والثلاثون، نيسان ــ حزيران، ١٩٣٦، (ص ٢٤٦ وما بعدها).

[2] البلاذري، فتوح (١٥٠ وما بعدها)، (أمر جند قنسرين والمدن التي تدعى العواصم).

[3] البلاذري، فتوح (١٥١).

[4] اليعقوبي (١/ ٢٩٨)، الخراج (١٤٦)، النصرانية (١٢٥).

وقد سكن قوم من (إياد) السواد والجزيرة، وسكن قوم منهم بـلاد الشـأم، فخضـعوا للغساسنة وللروم وتنصروا. وهم في جملة القبائل التي لم يأخذ علماء العربية اللسـان عنهـا لمجاورتها أهل الشأم، ولتأثرها بهم، وهم قوم يقرؤون ويكتبـون بالسـريانية، فتـأثروا بهـم، لروابط الاحتكاك والثقافة والدين[1].

وقد ترك لنا رجل من نصارى الشأم نصاً قصيراً مؤرخاً بسنة (٤٦٣) المقابلة لسـنة (٥٦٨) للميلاد، وهي غير بعيدة عن ميلاد الرسول جاء فيها: « نا شرحيل بر ظلمو بنيـت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم »، أي « أنا شراحيل بن ظالم بنت ذا المرطول بعـد مفسد (خيبر) بعام ». هو على قصره ذو أهمية عظيمة من الناحية اللغويـة، إذ هـو الـنص الجاهلي الوحيد الذي وصل الينا مكتوباً باللهجة التي نزل بها القرآن الكريم. وهو على ما أعلم النص الجاهلي الوحيد أيضاً الذي وصل إلينا مكتوباً بصيغة المتكلم، فالنصوص الأخرى التـي وصلت إلينا والمكتوبة بمختلف اللهجات العربية مدوّنة كلها بضمير الغائب. وهو أيضـاً مـن النصوص العربية القليلة التي تركها النصارى العرب لمن بعدهم في بلاد الشأم.

وقد استغل الروم العربَ المتنصرة بأن أثاروا في نفوسهم العواطـف الدينيـة علـى المسلمين، حينما عزم المسلمون على فتح بلاد الشأم وطرد البيزنطيين منها، وأغروا سـادات القبائل بالمال وبالهدايا وبالوعود حتى اشتروهم فصاروا إلى جانبهم. والمصالح الشخصية هي فوق كل مصلحة عند سادات القبائل، لا تعلوها عندهم مصـلحة، فانضـموا الـيهم، وجـاءوا بقبائلهم لتحارب معهم. ومن هذه القبائل العربية التي حاربت مع الروم، غسان. حاربوا معهـم في معارك عديدة. ففي يوم اليرموك كانوا في صفوف الروم، وكان رئيسهم (جبلة بن الأيهـم الغساني) في مقدمة الجيش الذي أرسله هرقل لمحاربة المسلمين. كان علـى رأس مسـتعربة الشأم من غسان ولخم وجذام[2]. وقد اشترك مع الروم في حروب أخرى ضد المسلمين.

وكانت (سليح) في جملة القبائل العربية المتنصرة التي حاربت المسلمين. ولما تقهقـر الروم وانهزموا، دفعوا الجزية لاحتفاظهم بدينهم. وكذلك كانت عاملة ولخم وجذام فـي جملـة القبائل المتنصرة التي ساعدت الروم، وآزرتهم. كانوا مع

---

[1] المزهر (١/ ١٠٥)، النصرانية (١٢٤).
[2] البلاذري، فتوح (١٤٠)، (يوم تبوك).

الروم مثلاً حين مجيء الرسول إلى (تبوك) [1]. وظلوا إلى جانبهم يؤيدونهم حتى تبين لهم أن النصر قد تحول للمسلمين، وأن الهزائم قد حالفت الروم، عندئذ انضمت في جملة من انضم من متنصرة العرب إلى المسلمين لمحاربة الروم[2].

وكادت قبيلة (تغلب) الساكنة غرب الفرات، أن تفرّ إلى بلاد الروم وتلحق بأرض الروم، لما غلب البيزنطيون على أمرهم وفتحت بلاد الشأم والعراق أمام المسلمين. ولما خيّرت بين البقاء على دينها ودفع الجزية وبين الدخول في الإسلام، أنفت من دفع الجزية، ورضيت بدفع ضعف الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض[3].

وقد نزحت (إياد) إلى بلاد الروم وبقيت بها، ثم عاد جمع منها لاخراج القيصر إياهم، فنزلوا بلاد الشأم والجزيرة وانضموا إلى اخوانهم في الجنس[4].

ويلي هؤلاء عربُ العراق، لاحتكاكهم بالنصارى ولانتشار النصرانية في العراق بالرغم من أن ديانة الحاكمين لهذا القطر كانت ديانة أخرى، وأن النصرانية لم تكن في مصلحة الفرس. غير أن الفرس لم يكونوا يبشرون بدينهم، ولم يكن يهمهم دخول الناس فيه، إذ عدت المجوسية ديانة خاصة بهم، وهذا مما صرف الحكومة عن الاهتمام بأمر أديان الخاضعين لها من غير أبناء جنسها، إلاّ اذا وجدتها تتعارض مع سياستها، وتدعو إلى الابتعاد عنها. ثم إن النصرانية التي انتشرت فيها لم تكن من النصرانية المتشيعة للروم، ولهذا لم تجد الدولة الساسانية من هذه الناحية ما يهدد سياستها بالأخطار، فغضت النظر عنها، وإنْ قاومتها مراراً واضطهدتها، وفتك ملوكها بعدد من الداخلين فيها، أشارت اليهم كتب مؤرخو الكنيسة في تواريخهم عن الشهداء القديسين[5].

وقد أشار أهل الأخبار إلى تنصر بعض ملوك الحيرة، ونسبوا اليهم بناء الأديرة

---

[1] البلاذري (٧١)، (تبوك وأيلة وأذرح ومقنا والجرباء).
[2] الخراج (١٣٨)، (فصل في الكنائس والبيع والصلبان).
[3] البلاذري (١٨٥)، (أمر نصارى بني تغلب بن وائل)، السنن الكبرى (٩/ ٢١٦)، الخراج (١٢٠ وما بعدها).
[4] الطبري (٤/ ١٩٧ وما بعدها)، (الجزيرة).
[5] هنالك عدة مؤلفات في هذا الموضوع، راجع منها:
Georg Hoffmann, Auzüge aus Syrischen akten Persicher Märtyrer, Leipzig, 1880.

والكنائس، كما أشار إلى ذلك بعض مؤرخي الكنيسة. كالذي ذكروه عن (المنذر) وعن (النعمان بن المنذر). غير أننا لا نستطيع إقرار ذلك بوجه عام، ولا بدّ من التريث، إذ يظهر أن أكثر ملوك الحيرة كانوا على الوثنية. وإذا كان كثير من ملوك الغساسنة قد دخلوا في النصرانية فإن ظروفهم تختلف عن ظروف ملوك الحيرة. فقد كان الروم، وهم سادة بلاد الشأم، على هذه الديانة، وكانوا يشجعون انتشار النصرانية ويسعون لها، ولهذا كان لهذه السياسة أثر في الغساسنة أصحاب الروم، وهم على اتصال دائم بهم بطبيعة حكمهم لبلاد الشأم. أما في العراق، فلم تكن هذه الديانة ديانة رسمية للحكومة، إنما انتشرت بفضل المبشرين، ولهذا انتشرت بين سواد الشعب، ولم تنتشر بين الملوك. ولم تضغط الحكومة الساسانية على ملوك الحيرة للدخول في هذه الديانة التي لم يكونوا أنفسهم داخلين فيها، فهي بالإضافة إليهم ديانة غريبة، لا يعنيهم موضوع انتشارها، ولا يهمهم موضوع انتشارها، ولا يهمهم شأنها ما دامت لا تتعارض وحكمهم في العراق.

وقد كان (هانيء بن قبيصة الشيباني) ممن كان على النصرانية، وهو من سادات (بني شيبان)، ومات وهو على هذا الدين. وكان في جملة من فاوض (خالد بن الوليد) باسم قومه على دفع الجزية للمسلمين.

ومن متنصرة العراق بنو عجل بنُ لجيم من قبائل بكر بن وائل. وقد عُرف منهم (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي) الذي سادهم في معركة ذي قار. وقد حاربت (خالد بن الوليد)، وكان قائدها جابر بن بجير وعبد الأسود. وكان منها في أيام بني أمية أبجر بن جابر. وهو والد حجّار. وقد بقي على نصرانيته في الإسلام. [1]

وكان في الحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة قريش في الأعمال التجارية مثل (كعب بن عدي التنوخي)، وهو من سراة نصارى الحيرة، وكان أبوه أسقفاً على المدينة، وكان هو يتعاطى التجارة، وله شركة في التجارة في الجاهلية مع (عمر بن الخطّاب) في تجارة البز، وكان (عقيداً) له، قدم المدينة في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ورأى الرسول، فأسلم في رواية، ولم يسلم في رواية أخرى. ولما توفي الرسول، ثبت على الإسلام على رواية من صيره مسلماً في

---

[1] الأغاني (٤٦/١٣ وما بعدها)، النصرانية (١٣٦).

أيام الرسول. واشترك في جيش اليمامة الذي أرسله (أبو بكر)، ووجهه (أبو بكر) في رسالة إلى (المقوقس)، ثم وجهه (عمر) برسالة اليه في أيامه. وشهد فتح مصر. [1]

وقد أخرجت مدينة الحيرة عدداً من رجال الدين، مثل مار إيليا وأصله من الحيرة، والقديس حنا نيشوع، وهو من عرب الحيرة ومن عشيرة الملك النعمان[2]، والقديس مار يوحنا[3]، و(هوشاع) الذي حضر مجمع اسحاق الجاثليق عام ٤١٠م، وشمعون الذي أمضى أعمال مجمع (يهبالا) الذي انعقد سنة ٤٨٦م، وشمعون الذي حضر مجمع (أقاق)، و(ايليا) المنعقد سنة ٤٨٦ م وأمضى في سنة ٤٩٧م مجمع (اباي)، و(ترساي) الذي تحزب سنة ٥٢٤م لنرساي الجاثليق ضد (اليشاع) و(افرام) و(يوسف)، وقد حضر مجمع (أيشوعياب الأرزني) الذي انعقد سنة ٥٨٥م، وشمعون بن جابر الذي نصرّ الملك النعمان الرابع في سنة ٥٩٤على ما يذكره مؤرخو الكنيسة[4].

وقد كان (مار يشوعياب الأرزوني) Jesujab I. Arzunita المتوفي سنة ٥٩٦م من أصل عربي. درس الديانة في (نصيبين) Nisibis، ثم تقّدم فصار أسقفاً على (أرزون) Arzun، ثم ترقى حتى صار (بطريكاً) (بطريقاً) على النساطرة سنة٥٨٠م. وقد زار الملك (النعمان). وتوسط عند الروم لمساعدة (خسرو أبرويز) Chosroes Abruizus، ضد (بهرام) Varames — Beheram وقد توفي في خيم (بني معدّ) (المعديين) Maadenes، ونقل إلى الحيرة فدفن في دير (هند) ابنة النعمان[5].

وقد عثر على آثار كنائس في خرائب الحيرة، وأشار أهل الأخبار إلى وجود الكنائس والبيع والأديرة في الحيرة. وذكر (ياقوت الحموي) أسماء عدد من الأديرة كانت بالحيرة أو بأطرافها وبالبادية، منها: (دير ابن برّاق) بظاهر الحيرة، و(دير ابن وضّاح) بنواحي الحيرة، وديارات الأساقف، وهي

---

[1] الإصابة (٣/ ٢٨٢)، (رقم ٧٤٢٢).
[2] الديورة في مملكتيْ الفرس والعرب (٣٢ وما بعدها).
[3] الديورة (٤٧).
[4] أدي شير (٢/ ٢٠٨).
[5] W. Smith, A Dictionary, II, p. 370, John of Ephesus, Eccl. Histo. , II, 40 ff.

جملة أديرة كانت بالنجف ظاهر الكوفة بحضرتها نهر الغدير، ودير الأسكون « وهو بـالحيرة راكب على النجف وفيه قلالي وهياكل وفيه رهبان يضيفون من ورد عليهم ». ودير الأعور، بظاهر الكوفة بناه رجل بن إياد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهر بن إياد، وديـر بنـي مرينا، بظاهر الحيرة عند موضع جفر الأملاك، ودير حنظلة، منسوب إلى حنظلـة بـن أبـي عفراء بن النعمان، وهم عم إياس بن قبيصة، وكان من رهط (أبي زبيد) الطائي، وكـان مـن شعراء الجاهلية، ثم تنصر وفارق قومه، ونزل الجزيرة مع النصارى حتى فقه ديـنهم وبلـغ نهايته، وبنى ديراً عُرف باسمه، هو هذا الدير، وترهب حتى مات[1]. ودير حنظلـة بـالحيرة، وهو منسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح ين علقمة، ودير حنة، وهو بالحيرةّ كذلك بناه المنـذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم، لبنـي أوس بـن عمرو بن عامر، ودير السوا بظاهر الحيرة يتحالفون عنده، ودير الشاء، ودير عبـد المسـيح وهو بظاهر الحيرة بموضع الجرعة بناه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، ودير علقمة بـالحيرة منسوب إلى علقمة بن عدي بن الرميك بن توب بن أسس بن دبي بن نمارة بن لخم، ودير قرة وهو دير بإزاء دير الجماجم بناه رجل اسمه قرة من بني حذافة ابن زهر بن إيـاد فـي أيـام المنذر بن ماء السماء، ودير اللُجّ وهو بالحيرة بناه النعمان بن المنذر أبـو قـابوس، و« كـان يركب في كل أحد اليه، وفي كل عيد، ومعه أهل بيته، خاصة من آل المنـذر، علـيهم حلـل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفصصـة بـالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان، وإذا قضوا صلاتهم، انصرفوا إلى مستشرفه علـى النجـف، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه، وخلع ووهب، وحمل ووصل وكان ذلك أحسن منظـر وأجمله »[2].

ودير مارت (مارة) مريم. وهو دير قديم من أبنية آل المنذر بنـواحي الحيـرة بـين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف، ودير مار فـايثون بـالحيرة أسفل النجف، ودير مر عبدا بذات الأكيراح من نواحي الحيرة منسوب إلى مر عبدا بن حنيف بن وضاح اللحياني كان مع ملوك الحيرة،

[1] البكري، معجم (٢/ ٥٦٧)، (دير حنظلة).
[2] البكري، معجم (٥/ ٥٩٦)، (دير اللج).

دير ابن المزعوق، وهو دير قديم بظاهر الحيرة، ودير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالخَرْقة، وكانت به قبور أهلها، بنته هند في أيام (خسرو أنو شروان) في زمنْ مار افريم الأسقف. وأما الدير المعروف بدير هند الأقدم، فنسب بناؤه إلى هند الكبرى، أم عمرو بن هند[1].

هذه أسماء اخترتها من بين أسماء أديرة أخرى كثيرة ذكرها (الشنابشتي) [2]، وياقوت الحموي والبكري، لأن لها صلة بالحيرة وبما جاورها وبالعرب سكان هذه الأرضين. ونجد في بلاد الشأم أديرة أخرى بناها عربها في تلك الديار قبل الإسلام. ونجد على تسميات بعضها الصبغة الإرمية كما في تسمية (مار افريم) (مار افرايم) و(مار عبدا) و(مار فايثون)، وغيرها. وكلمة (مار) من كلمات بني إرم، كما نجد الصبغة النصرانية للأعلام واضحة على بعضها كما في عبد المسيح وحنة ومارت مريم وأمثال ذلك، وهي من الأعلام التي اختصت بالنصارى. وذلك بسبب أن النصرانية كانت متأثرة بثقافة بني إرم، وكانت تستعل اللغة الإرمية في الصلوات وفي تأدية الشعائر الدينية الأخرى. ولغة بني إرم هي لغة العلم عند النصارى الشرقيين، فكان من الطبيعي استعمال نصارى العرب لهذه اللغة في كنائسهم وبيعهم وأديرتهم وفي دراستهم للدين وما يتصل باللاهوت من علوم. ومن هنا استعمل كتّابهم قلم بني إِرم في كتاباتهم، ومن هذا القلم تولد القلم النبطي المتأخر الذي تفرع منه القلم العربي الذي كتب به أهل الحجاز عند ظهور الإسلام، فصار القلم الرسمي للمسلمين.

وقد نعت الرواة وأهل الأخبار العرب التي دانت بالنصرانية بـ (العرب المتنصرة)، تمييزاً لها عن العرب الآخرين الذين لم يدخلوا في هذه الديانة، بل بقيت على إخلاصها ووفائها لديانة آبائها وأجدادها، وهي عبادة الأوثان. ومن القبائل التي يحشرها أهل الأخبار في جملة (العرب المتنصرة) غسان وتغلب وتنوخ ولخم وجذام وسليح وعاملة. ويلاحظ أن الأخباريين يطلقون على هذه القبائل أو على أكثرها (العرب المستعربة)، وهم لا يقصدون بذلك نسبها، لأن من بينها كما نعلم من هو من أصل قحطاني على حسب مذهب أهل الأنساب في نسب

[1] البكري (٢/ ٦٠٦)، البلدان (٤/ ١١٩ وما بعدها)، « القول في ذكر الأديرة ».
[2] مطبعة المعارف، بغداد، تأريخ كلدو وآثور (٢/ ٢٩)، ذخيمة الأذهان (٣١٧).

القبائل. وإنما يريدون من هذا المصطلح القبائل التي كانت قد سكنت ببلادالشام والساكنة في أطراف الإمبراطورية البيزنطية وفي سيف العراق. من حدود نهر الفرات إلى بادية الشأم، فهو يشمل إذن القبائل النازلة على طرفي الهلال الخصيب وفي طرفي القوس التي تحيط بحدود الإمبراطوريتيْن. وخاصة تلك القبائل التي دانت بالنصرانية وتأثرت بثقافة بني إرم وبلهجتها، وذلك لظهور هذا الأثر فيها، وعلى لهجتها خاصة، مما حدا بعلماء اللغة أن يتحرجوا في الاستشهاد بشعرها في قواعد اللغة. والاستشهاد بشعر قبيلة لاثبات القواعد هو أوثق شاهد في نظر العلماء على التسليم بنقاوة لغة القبيلة التي يستشهد بشعرها وأصالتها.

ووجدت النصرانية بعد بلاد الشأم والعراق لها مواضع أخرى دخلت اليها، هي أطراف جزيرة العرب، كالعربية الغربية والجنوبية والشرقية. وتفسير دخولها إلى هذه الأرضين واضح، هو اتصالها بطرق القوافل البرية والبحرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية، ومجيء التجار النصارى والمبشرين مع القوافل إليها. وتجار النصارى، لم يكونوا على شاكلة تجار يهود: كانوا يرون أن التجارة هي كسب مادي، ولكن التبشير مع التجارة ربح مضاعف، هو ربح في الداريْن:. الدنيا والاخرة، فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم في البلاد التي ينزلونها لنشر دينهم فيها ثم إن في انتشار دينهم بين سكان هذه المواضع التي يطرقونها كسباً لهم ولبلادهم، وأكثرهم من الروم. فإنهم يجدون بتنصر الغرباء، إخواناً لهم يرون رأيهم، ويعطفون عليهم. ثم إنهم سيفضلونهم في تعاملهم معهم على غيرهم، وسيتساهلون معهم ولا شك. ثم إنهم سيقربونهم بتنصيرهم من العالم النصراني، وممثل هذا العالم وحماته هم الروم.

وكان أهل دومة الجندل خليط، فهم نصارى، قال عنهم أهل الأخبار انهم (من عباد الكوفة) [1]. ويظهر من خبر أسر خالد للأكيدر ومجيئه به على رسول الله، ومن مصالحة الرسول له على الجزية، أنه كان على النصرانية، إذ لا تؤخذ الجزية من مشرك[2].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (٧٤) « دومة الجندل ».

[2] « ثم إنّ خالداً قدم بأكيدر على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته »، الطبري (٣/ ١٠٩)، (دار المعارف)، (ذكر الخبر عن غزوة تبوك).

أما (أيلة)، فكان اسم صاحبها في أيام الرسول (يحنة بن رؤبة) (يوحنا بن رؤبة) وهو نصراني كما يدل اسمه عليه، جاء إلى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وكان الرسول بها، فصالحه على الجزية وبقي في محله[١]. وقد دعاه المسعودي (أسقف أيلة) [٢]. وورد في محاضر بعض المجامع الدينية (أسقف أيلة والشراة) [٣].

وكان في وادي القرى نفر من الرهبان، كما ورد ذلك في شعر جعفر بن سراقة أحد بني قرة، وهو:

فريقان: رهبان بأسفل ذي القرى وبالشأم عرافون فيمن تنصرا[٤]

وتعد طيء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً اليها. وقد ورد أن (أحودما) (المغريان) تنقل بين طيء في سنة (٨٧٠) لليونان المقابلة لسنة (٥٥٩) للميلاد[٥]. وقد كان عدي بن حاتم الطائي في جملة الداخلين في النصرانية من طيء. ويذكر أنه كان (ركوسيّاً)، وفد على الرسول، وأعلن إسلامه[٦]. غير أن هذا لا يعني أن النصرانية كانت هي الغالبة على هذه القبيلة، فقد كان قوم منها يتعبدون للصنم (الفلس)، أي على الشرك.

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب. وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة من الآيات المدنية إلى النصارى، غير أن تلك الاشارات عامة في طبيعة المسيح وفي النصرانية نفسها لا في نصارى يثرب وفي صلاتهم بالإسلام. ثم إن أهل السير لم يشيروا إلى تصادم وقع بين النصارى والمسلمين ولا إلى مقاومة نصارى يثرب للرسول كالذي وقع بين يهود يثرب والرسول، مما يدل على أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة، وأن جاليتها لم تكن

---

[1] البلاذري (٦٦)، السنن الكبرى (٩/ ١٨٥ وما بعدها).
[2] التنبيه (٢٧٢)، النصرانية (٤٤٨).
[3] النصرانية (٤٤٨).
[4] الأغاني (٧/ ٩٦) « نسب جميل وأخباره ».
[5] النصرانية وآدابها، القسم الأول (١٣٢ وما بعدها)، Barhebraei, Chronicon Eccl. , III, 100.
[6] الإصابة (٢/ ٤٦١)، (رقم ٥٤٧٧)، المشرق، السنة الثامنة، العدد ١١، (١٩٠٥)، (٥٠٧)، النصرانية (١٣٣).

كثيرة العدد فيها. غير أن هذا لا يعني عدم وجود النصارى في هذا الموضع الزراعي المهم[١]. فكما كان في مكة رقيق وموالي يقومون بخدمة ساداتهم، كذلك كان في المدينة نفر منهم أيضا يقومون بمختلف الأعمال التي يعهد أصحابهم إليهم القيام بها. ولا بدّ أن تكون لهذه الطبقة من البشر مكانة في هذه المدينة وفي أي موضع آخر من جزيرة العرب. فقد كانت هذه الطبقة عموداً خطيراً من الأعمدة التي يقوم عليها بنيان الاقتصاد في ذلك العهد، فهي بالنسبة لذلك العهد الآلات المنتجة والمعامل المهمة لأصحاب الأموال وللسادة الأثرياء، تؤدي ما يطلب منها القيام به وما يراد منها إنتاجه بأجور زهيدة وبدقة ومهارة لا تتوفر عند الأحرار من العرب. ثم إن الأحرار مهما بلغ حالهم من الفقر والفاقة كانوا يأنفون من الأعمال الحرفية ونحوها مما يوكل إلى هذه الطبقة القيام به، لأنها في نظرهم من المهن المنحطة التي لا تليق بالرجل الحر مهما كان عليه من فقر وبؤس، ولهذا كان لا بد من الاستعانة بالموالي والرقيق للقيام بأكثر متطلبات حياة الإنسان.

ويفهم من بيت للشاعر حسان بن ثابت في قصيدة رثى بها النبي، وهو:

فرحت نصارى يثرب ويهودها   لمّا توارى في الضريح الملجد[٢]

أنه كان في يثرب نفر من النصارى كما كان بها قوم من يهود. وذكر أن النصارى كانوا يسكنون في يثرب في موضع يقال له: سوق النبط[٣].

ولعل هذه السوق هي الموضع الذي كان ينزل فيه نبط الشأم الذين كانوا يقصدون المدينة للاتجار في الحبوب، فصارت موضعاً لسكنى هؤلاء النصارى، ونسب إليهم[٤]. وقد ورد أن عمر بن الخطاب استعمل أبا زبيد الشاعر النصراني على صدقات قومه، وأن أبا زبيد هذا كان مقرباً من الخليفة عثمان بن عفان من بعده[٥].

وقد كان (أبو عامر) الراهب، الذي تحدثت عنه أثناء حديثي عن الأحناف،

---

[1] السنن الكبرى (٩/ ١٨٢ وما بعدها).
[2] ديوان حسان (٥٩) « تحقيق هرشفلد ».
[3] Nallino, Raccolta, III, p. 140.
[4] البخاري (٣/ ٤١ وما بعدها)، النصرانية (٤٤٩).
[5] النصرانية (٤٤٩).

ممن اعتنق النصرانية، ومن أهل يثرب. ويظهر أنه كان قد تمكن من إقناع بعض شباب الأوس من اعتناق دينه، بدليل ما ذكره علماء التفسير من أنه لما خرج من يثرب مغاضباً للرسول، وذهب إلى مكة، مؤيداً إياهم ومحرضاً لهم على محاربة الرسول أخذ معه خمسين أو خمسة عشر رجلاً من الأوس، على ما ذكره علماء التفسير، فلما أيس من نجاح أهل مكة في القضاء على الرسول فرّ إلى بلاد الشأم على نحو ما ذكرت، ليطلب مدداً من الروم يعينه في زحفه على المدينة. وأنا لا استبعد احتمال وجود أناس آخرين من أهل يثرب كانوا قد دخلوا في النصرانية ودعوا اليها، واحتمال وجود مبشرين فيها، كانوا يسعون لإدخال أهلها في دين عيسى، يؤيدهم ويمدّهم بالمال والمعونة الروم حكام بلاد الشأم.

وكان بين سكّان مكة عند ظهور الإسلام جماعة من النصارى هم من الغرباء النازحين إليها، لأسباب، منها: الرق، والإتجار، والتبشير، والحرفة. فأما الرقيق، فمنهم الأسود والأبيض: الأسود من إفريقية، والأبيض من أوروبة، أو من أقطار الشرق الأدنى، وهم أعلى في المنزلة وفي السعر من النوع الأول، وهم بحكم قانون ذلك العهد وعرفه تبع لسادتهم وفي ملك يمينهم، يقومون بالأعمال التي توكل اليهم، ليس لهم التصرف إلاّ بأمرهم، فهم في الواقع بضاعة يتصرف بها صاحبها كيف يشاء، ليس لها صوت ولا رأي، إن أبق المملوك قتل أو أنزل به العقاب الذي يراه ويختاره صاحبه ومالكه.

وبين الرقيق الأبيض خاصة نفر كانوا على درجة من الفهم والمعرفة، يعرفون القراءة والكتابة، ولهم إطلاع في شؤون دينهم ومعارف ذلك العهد. ولهذا أوكل اليهم القيام بالأعمال التي تحتاج إلى مهارة وخبرة وذكاء. وقد كان حالهم لذلك أحسن من حال غيرهم من الأرقاء. ومنهم من كان يشرح لسادتهم أمور دينهم وأحوال بلادهم، ويقصون عليهم ما حفظوه ووعوه من أخبار الماضين وقصص الراحلين، وأكثرهم ممن كانت ألسنتهم لم تتروض بعد على النطق بالعربية، فكانوا يرطنون بها، أو يتلعثمون، ومنهم من كان لا يعرف شيئاً منها، أو لا يعرف منها إلا القليل من الكلمات.

ومن، هؤلاء رجل نصراني كان بمكة قيل إن اسمه: سلمان، أو يسار، أو جبر، أو يعيش، أو بلعام، ادعى أهل مكة أنه كان هو الذي يلقن الرسول

ما كان يقوله للناس من رسالته، وأنه هو الذي كان يعلمه. وقد أشير إلى قول قريش هذا في الآية: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[١]. ومن روى من المفسرين أن اسمه جبر، قال: إنه كان غلاماً لعامر بن الحضرمي، وأنه كان قد قرأ التوراة والإنجبل[٢]، وكان الرسول يجلس اليه عند المروة إلى مبيعته، « فكانوا: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلاّ جبر النصراني، غلام الحضرمي »[٣].

ومن هؤلاء من زعم أنه كان قيناً لبني الحضرمي، وأنه كان قد جمع الكتب، وهو رومي، فكان رسول الله يأتي اليه ويجتمع به، فكان المشركون يقولون: إنه يتعلم من هذا الرومي! وذكر بعض الرواة أن (آل الحضرمي) كانوا يملكون عبديْن، هما: جبر ويسار، فكانا يقرآن التوراة والكتب بلسانهما، فكان الرسول يمر عليهما فيقوم يستمع منهما. وقيل إنهما كانا من أهل (عين التمر)، وإنهما كانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، فربما مرّ بهما النبي، وهما يقرآن فيقف ويستمع. وأما من قال إن اسمه (يعيش)، فذكر أنه كان مولى لحويطب بن عبد العزى. وأما من ذكر أن اسمه (بلعام)، فقال انه كان قيناً رومياً بمكة وكان نصرانياً أعجمي اللسان، « فكان المشركون يرون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده، فقالوا انما يعلمه بلعام »[٤]. ومهما اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل فإنهم اتفقوا على أنه كان أعجمي الأصل، نصرانياً، يقرأ الكتب، وأنه كان بمكة نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية يقرأون ويكتبون.

والى هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص، أعني: يعيش ويقال عائش أو عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر، أشير في القرآن الكريم، في الآية: ﴿ وقال الذين كفروا: إن هذا إلاّ

[١] سورة النحل، الرقم ١٦، الآية ١٠٣.
[٢] تفسير الطبري (١٤/ ١١٩)، « وكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلاّ جبر النصراني، غلام ابن الحضرمي »، روح المعاني (١٤/ ٢١٢ وما بعدها)، ابن هشام.
[٣] تفسير الطبري (١٤/ ١٢٠)، روح المعاني (١٤/ ٢١٢)، ابن هشام (٢٦٠).
[٤] تفسير الطبري (١٤/ ١١٩)، روح المعاني (١٤/ ٢٣٣)، تفسير الطبرسي (المجلد الثالث).

إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ﴾[1]. وقد ذكر المفسرون أنّ هؤلاء « كانوا كتابيين يقرأون التوراة، أسلموا، ركان رسول الله، صلى الله عليه وسلم يتعهدهم، فقيل ما قيل »[2].

وعرفت أسماء جملة رجال ونساء من هذا الرقيق الذي جيء بـه إلـى مكـة والـى مواضع أخرى من جزيرة العرب. من هؤلاء نسطاس، ويقصد بذلك أنستاس، وكان من موالي صفوان بن أمية. و(مينا) (ميناس)، و(يوحنا) عبد (صهيب الرومى)، و(صهيب) نفسه لم يكـن عربياً، إنما كان من بلاد الشأم في الأصل، وهو رومي الأصل ولـذلك قيـل لـه (صـهيب الرومي). وكان قد جاء مكة فقيراً لا يملك شيئاً، فأقام بها، ثم اتصل بعبد الله بن جُدعان الثري المعروف، وصار في خدمته، ولذلك قيل إنه كان مولى من موالي عبد الله بن جدعان. وفـي رواية أنه كان من (النمر بن قاسط)، سقط أسيراً في الروم فباعوه، فاشترى مـنهم. وقـد ورد في حديث: « صهيب سابق الروم »، فهذا يدل على أنه من أصل رومي. وهـو مـن أوائـل المسلمين، يذكر أنه حينما همَّ بترك مكة والذهاب إلى المدينة بعد هجرة الرسول اليها « قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريـد أن تخـرج بمالك ونفسلك!! والله، لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكـم مـالي أتخلـون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي »[3]، وترك قريشاً ليذهب إلى الرسول.

وكان لبني مخزوم الأثرياء جملة جوارٍ يونانيات، كما كان لدى العبّاس عم النبي جوار يونانيات، وأشير إلى وجود جوار فارسيات. وكان هذا الرقيق الأبـيض ذكـوراً وإناثـاً مـن جنسيات متعددة، منهم من كان من أصل رومي، ومنهم من كان من عنصر أوروبـي آخـر، ومنهم من كان من الفرس أو من أهل العراق مثل نينوى وعين التمر، ومنهم من كان من بلاد الشأم أو من أقباط مصر، وهم على النصرانّية في الغالب[4].

---

[1] الفرقان، الرقم ٢٥، الآية ٤.

[2] تفسير الطبري (١٨/ ١٣٧ وما بعدها)، روح المعاني (١٨/ ٢٣٤ وما بعدها)، مجمـع البيـان (٧/ ١٦١)، (طهران)، (الجزء الثامن عشر)، (سورة الفرقان).

[3] ابن هشام (٢/ ٨٩)، الإصابة (٢/ ١٨٨)، (الرقم ٤١٠٤).

[4] المشرق، السنة الخامسة والثلاثون ١٩٣٧ (ص ٨٨ وما بعدها).

وقد كانت في مكة عند ظهور الإسلام جالية كبيرة كثيرة العدد من العبيد، عرفوا بـ (الأحابيش). وبين هؤلاء عدد كبير من النصارى، استوردوا للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة. وقد ترك هؤلاء الأحابيش أثراً في لغة أهل مكة، يظهر في وجود عدد من الكلمات الحبشية فيها في مثل المصطلحات الدينية والأدوات التي يحتاج اليها في الصناعات وفي الأعمال اليدوية التي يقوم بادائها العبيد. وقد أشار العلماء إلى عدد من هذه الكلمات ذكروا أنها تعربت، فصارت من الكلام العربي. وقد أشاروا إلى ورود بعضها في القرآن الكريم وفي الحديث[1].

ويشير أهل الأخبار إلى ورود بعض الرهبان والشمامسة إلى مكة. وقد كان من بينهم من يقوم بالتطبيب. وقد ذكر الأخباريون أن شماساً كان قد قصد مكة، فعجب الناس به، وقد سمّوا أحدهم به، هو عثمان بن الشّريد ين سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم، فقالوا له: (شماس) [2].

وذكر (اليعقوبي)، أن ممن تنصر من أحياء العرب، قوم من قريش من بني (أسد بن عبد العزى)، منهم (عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى) [3]. وقد ورد في بعض الأخبار أنه قدم على قيصر، فتنصر، وحسنت منزلته عنده. وأن قيصر ملكه على مكة. ومنحه براءة بذلك، واعترف به. وقد سبق أن تحدثت عنه في أثناء كلامي على مكة. وقد ذكرت أن من الصعب تصور بلوغ نفوذ القيصر هذا الحد من جزيرة العرب، فلم يتجاوز نفوذ الروم الفعلي في وقت ما من الأوقات أعالي الحجاز. ولكن ذلك لا يمنع من تقرب السادات وتزلفهمً إلى عمال الروم وموظفيهم في بلاد الشأم، بإظهار أنهم من المخلصين لهم المحبين للروم، وأنهم من كبار السادات ذوي المكانة والنفوذ، للحصول على مكاسب مادية ومعنوية منهم، تجعل لهم مكانة عند أتباعهم وجاهاً ومنزلة ونفوذاً على القبائل الأخرى. وقد كان الروم يعرفون ذلك معرفة جيدة، بفضل دراستهم لنفسية الأعراب، ووقوفهم على طبائع سادات القبائل، فكانوا يشجعون هذا النوع من التودد السياسي لكسب العرب وجرهم إلى جانبهم.

---

[1] « فقال: يا أم خالد، هذا سناه. وسناه بالحبشية حسنة »، أسد الغابة (٥/ ٥٧٩)، المعرب (٢٠٢، ٣٠٣، ٣٥٢)، صحيح مسلم (٢/ ١٨٩).

[2] ابن هشام (٢/ ٣٢٩)، « من حضر بدراً من بين مخزوم »، المشرق، السنة الخامسة والثلاثون، ١٩٣٧ (ص ٩٠ وما بعدها)، كتاب نسب قريش (٣٤٢).

[3] اليعقوبي (١/ ٢٢٧)، (أديان العرب).

وعدّ (ورقة بن نوفل) في جملة المتنصرين في بعض الروايات، فقد ذكر أنه « تنصر واستحكم في النصرانية، وقرأ الكتب، ومات عليها »[1].

وقد استدل (شيخو) من الخبر المروى عن الصور التيً قيل إنها صور الرسل، والأنبياء وبينها صورة المسيح ومريم، والتي ذكر أنها كانت مرسومة على جدران الكعبة، على أنها هي الدليل على أثر النصرانية بمكة. استدل على فكرته هذه بخبر خلاصته أن الرسول حينما أمر فطمست تلك الصور، استثنى منها صورة عيسى وأمه مريم، وبخبر ثان ورد عن تمثال لمريم مزوّق بالحلي وفي حجرها عيسى، باد في الحريق الذي شب في عصر (ابن الزبير)، وبخبر ثالث عن امرأة من غسان قيل إنها « حجت في حاج العرب، فلما رأت صورة مريم في الكعبة، قالت: بأبي أنتِ وأمي: إنكِ لعربية. فأمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمحو تلك الصور، إلاّ ما كان من صورة عيسى ومريم »[2].

وكان في الطائف نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية، لم يتعرض سادتهم كسائر رجال الأماكن الأخرى من الحجاز لدينهم، فتركوهم على دينهم يقيمون شعائرهم الدينية على نحو ما يشاؤون. من هؤلاء (عدّاس)، وكان من أهل نينوى، أوقعه حظه في الأسر، فبيع في سوق الرقيق، وجي به إلى الطائف فصار مملوكاً لعتبة وشيبة ابني ربيعة. وعند مجيء الرسول إلى الطائف عارضاً نفسه على ثقيف أهلها، كان هو في جملة من تكلم اليه[3]. ومنهم الأزرق، ذكر أنه كان عبداً رومياً حداداً، وأنه هو أبو نافع الأزرق الخارجي الذي ينتمي اليه الأزارقّة. وهناك روايات تنفي وجود صلة لهذا الأزرق بالأزرق والد نافع المذكور[4].

وأما الحديث عن النصرانية في اليمن، فهو حديث غامض أوله، مبهم أصله، لا نعرف متى نبدأ به على وجه التحقيق. فليس لدينا نص بالمسند يشير إلى مبدأ

---

[1] اليعقوبي (١/ ٢٩٨)، (ليدن)، المحبر (١٧١)، ابن هشام (١/ ٢٤٣، ٢٥٠ وما بعدها)، النصرانية (١/ ١١٩)، المشرق، السنة الخامسة والثلاثون، ١٩٣٧ (ص ٢٧٢).
[2] النصرانية (ص ١١٧).
[3] ابن هشام (٢/ ٣٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٨٩)، الإصابة (٢/ ٤٥٩)، الرقم ٥٤٧٠)، النصرانية (٤٥٢).
[4] البلاذري (٦٢).

دخول النصرانية العربية الجنوبية. وما لدينا من كتابات مما له بعض العلاقة بالنصرانية إنما دوّن في الحقبة المتأخرة من تأريخ اليمن، وفي أيام الحبشة في اليمن، وهو ساكت في الجملة عن المبدأ وعن المبشرين بالنصرانية في العربية الجنوبية. فليس لدينا من بين نصوص المسند في هذا الباب عون ولا سند.

وليس لنا اذن إلاّ أن نفعل ما فعلناه بالنسبة إلى اليهودية، فنرجع إلى الموارد الإسلامية والنصرانية لنرى رأيها في هذا الباب.

وتزعم الموارد الإسلامية أنّ الذي نشر النصرانية في اليمن رجل صالح من بقايا أهل دين عيسى اسمه (فيميون) Faymiyon = Phemion [١]، وكان رجلاً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة سائحاً ينزل القرى لا يُعرف بقرية إلاّ خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها، وكان لا يأكل إلاّ من كسب يده، وكان بنّاءً يعمل الطين وكان يعظم الأحد: إذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً. ففطن لشأنه في قرية من قرى الشأم رجل من أهلها اسمه (صالح)، فأحبه واتبعه على دينه ورافقه. وانصرف ومعه صالح من ضواحي الشأم حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدا عليهما، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران. وأهلها من بني الحارث بن كعب من بني كهلان. وكانوا يعبدون العزى على صورة نخلة طويلة بين أظهرهم. فابتاع رجل من أشرافهم (فيميون)، وابتاع رجل آخر صالحاً، وقد أعجب صاحب فيميون به، لما رآه فيه من صلاح وورع، فآمن بدينه، وآمن أهل نجران منذ ذلك الحين بالنصرانية لمعجزة قام بها (فيميون)، حينما دعا الله يوم عيد العزى أنْ يرسل عليها ريحاً صرصراً عاتية تُخنى عليها. فأتت الريح عليها فجعفتها من أصلها فألقتها، فآمن بدينه أهل نجران. فمن هنالك كانت النصرانية بنجران[٢]. ويذكر الطبري أنّ أهل نجران كانوا يعيدون كل سنة، « إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحليّ النساء. ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوماً »[٣].

ويظن أن (فيميون) كلمة يونانية في الأصل حرفت من أصل Euphemion.

---

[1] « فيميون » « قميون » « ميمون ».

[2] الطبري (٢/ ١٠٣ وما بعدها)، ابن هشام (٢٠ وما بعدها)، الكامل، لابن الأثير (١/ ١٧١)، البيضاوي (٢/ ٣٩٥)، ابن خلدون (٢/ ٥٩).

[3] الطبري (٢/ ١٢٠ وما بعدها) « دار المعارف ».

وزعم أن (فيميون) عين أحد النجرانيين واسمه (عبد الله بن الثامر) رئيساً علـيهم، وجعلهـم تحت رعاية أسقف اسمه (بولس) [1].

وقد ذكر (الأزرقي) أن أهل نجران كانوا من أشلاء سبأ « وكانوا على دين النصرانية على أصل حكم الإنجيل، وبقايا من دين الحواريين، ولهم رأس يقال له: عبد الله بن ثامر »[2].

وتذكر رواية اسلامية أخرى أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان وكـان في قرية من قراها قريباً من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، وكان أحد رجـال نجران واسمه (الثامر) يرسل ابنه (عبد الله) مع غلمان أهل نجران إلى ذلك السـاحر يعلمهـم السحر، فكان يمر على صاحب خيمة بين نجران وتلك القرية، وقد أعجبه ما رآه من صـلاته وعبادته وتقواه، فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى دخل في دينه، وصار يدعو اليه بين أهـل بلده. فمن ثم انتشرت النصرانية في نجران، وظهرت على الوثنية[3].

وتذكر هذه الرواية، أن (عبد الله بن الثامر)، أخذ من ثم يبشـر بالنصـرانية، ويـأتي بالمعجزات إذ يشفي المرضى « حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلاّ أتاه فاتبعه علـى أمـره، ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران. فدعاه فقال له: أفسدت عليّ أهـل قريتـي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك! قال: لا تقدر على ذلك، فجعل يرسل بـه إلـى الجبـل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض، ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجـران، بحور لا يقع فيها شيء إلاّ هلك، فيُلقى فيها فيخرج ليس به بأس، فما غلبه، قال عبـد الله بـن الثامر: إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلـت ذلـك سلطت علي فقتلتني، فوحد الله ذلك الملك، وشهد بشهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصـاً في يده فشجّه شجة غير كبيرة، فقتله، فهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبـد الله بن الثامر »[4].

ولم تصرح هذه الرواية التي يرجع سندها إلى (محمد بن كعب بن القرظي)

---

[1] Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 31, anm., I, O'leary, p. 143.

[2] أخبار مكة (١/ ٨١).

[3] الطبري (٢/ ١٢١ وما بعدها) « دار المعارف ».

[4] الطبري (٢/ ١٢٢) « دار المعارف ».

وبعض أهل نجران، باسم الرجل الصالح الذي أخذ منه (عبد اللّه بن الثامر) نصرانيته. وقد نبّه إلى ذلك الطبري، في أثناء سرده لها، فقال: « ولم يسموه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه »[1].

وقد صيرت بعض الروايات (عبد الله بن الثامر) في جملة من قتلهم (ذو نواس) من النصارى، غير أن (الطبري)، نبه إلى خطل هذا البعض، وبينّ أن (عبد الله) كان قد قتل قبل ذلك، قتله ملك كان قبله، هو كان أصل ذلك الدين[2].

وهناك قصة ذكرها (ابن إسحاق)، تزعم أن رجلاً حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجاته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده، فإذا أخرت يده عنها انبعثت دماً، واذا أرسلت يده ردّها عليها، فأمسك دمها، وفي يده خاتم، فأقر على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه، وكان ذلك بأمر عمر بن الخطاب[3].

والظاهر أن النجرانيين، لم ينسوا رئيسهم (عبد الله بن الثامر) حتى بعد اسلامهم، فرووا عنه هذا القصص وصيروه على هذه الصورة التي روتها القصة. ويظهر أنه قتل، فصير شهيداَ من الشهداء، لأنه قتل في سبيل دينه وفي سبيل نشره بين النجرانيين.

وزعم بعض الأخباريين أن الذي أدخل النصرانية ونشرها في الحميريين، هو التبع عبد كلال بن مثوب: أخذ التبع نصرانيته بزعمهم من رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشأم. فما علمت حمير بتنصر التبع وبتغيير دينه وإعراضه عن عبادتها، وثبت بالغساني فقتلته[4]. وقد أشير إلى تنصره في القصيدة الحميرية[5].

---

[1] الطبري (٢/ ١٢١ وما بعدها) « دار المعارف ».
[2] الطبري (٢/ ١٢٣) « دار المعارف ».
[3] الطبري (٢/ ١٢٤).
[4] الطبري (٢/ ٨٦): « ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمالها على العرب وأهل اليمن »، النصرانية (١/ ٥٥ وما بعدها)، Nallino, Raccolta, III, p. 124.
[5] أم أين عبد كلال الماضي على   دين المسيح الطاهر المساح
النصرانية (١/ ٥٥).

أما الرواية الأولى فتنسب إلى (وهب بن منبه). وأما الرواية الثانية فتنسب إلى (محمد بن كعب القرظي) والى بعض أهل نجران لم يصرح (ابن إسحاق) بذكر أسمائهم، فالروايتان اذن من مورد واحد هو أهل الكتاب[1]. فوهب بن منبه من مسلمة يهود. وأما محمد بن كعب بن أسد القرظي المتوفي بين سنة ١١٨ ــ ١٢٠ للهجرة، فهو من أصل يهودي كذلك، من قريظة حلفاء الأوس، وقريظة يهود. وكان مثل وهب قاصاً من القصاص يقص في المسجد. وقد جرّ قصصه. هذا عليه البلايا، فكان يقص في المسجد فسقط عليه السقف فمات[2].

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظي سبيلها إلى تأريخ الطبري عن طريق سيرة ابن إسحاق، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق صاحب السيرة الذي أخذ منه بلا واسطة كما أخذ منه بالواسطة. أما الأخبار المروية عنه، فهي في سير الرسل والأنبياء، وفي انتشار اليهودية والنصرانية في اليمن، وفي الأمور التي تخص اليهود في الحجاز[3]. وكان من المقربين إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة. فلما ولي الخلافة، كان يذهب اليه ويتحدث معه في الزهد وفي القصص الذي يحمل طابع الإسرائيليات وفي التفسير الذي اشتهر به[4].

فناقل النصرانية إلى نجران إذن رجل غريب جاء إلى البلد من ديار الشأم على رواية (وهب بن منبه). ويرجع (أوليري) هذه الروابة إلى أصل يرى جذوره في السريانية[5]. واسم هذا الرجل الصالح غير عربي بالطبع. فلعله من المبشربن الذين كانوا يطوفون بين ديار العرب للتبشير.

ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية إلى اليمن عن طريق الحجاز،

---

[1] الطبري (٢/ ١٠٤)، تفسير الطبري (٣٠/ ٨٥)، Nallino, Raccolta, Di Scritti, III, 1941, p. 124.
[2] راجع ما كتبته عنه في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الأول، ١٩٥٠، (ص ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠)، عيون الأخبار (١/ ٢٠١، ٢٦٤) (٢/ ١٤، ٣٤٣)، (٣/ ٤).
[3] الطبري (١/ ١٣٨)، (٢/ ١٠٤)، ورد اسمه في «٢٩» موضعاً في تأريخ الطبري.
[4] ابن سعد، طبقات (٥/ ٢٧٢ فما بعدها)، مجلد ٧، قسم ٢ ص ١٩٤، عيون الأخبار (٢/ ٣٤٣)، (٣/ ٤).
[5] O'leary, p. 143.

فقد كانوا يتنقلون بين العرب لنشر هذا الدين. وليس بمستبعد أيضاً أن يكون قد دخل عن طريق الساحل أيضاً مع السفن. فقد كان المبشرون يتنقلون مع البحارة والتجار لنشر النصرانية، وقد تمكنوا بمعونة الحكومة البيزنطية من تأسيس جملة كنائس على سواحل جزيرة العرب وفي سقطرى والهند. كما لا يستبعد أن يكون للمبشرين الذين جاؤوا من العراق كما تذكر بعض الموارد النصرانية السريانية دخل في نشر النصرانية في اليمن. ولا سيما نشر النسطورية في تلك البلاد.

وأما الموارد النصرانية، فإنها مختلفة فيما بينها في أول من أدخل النصرانية إلى اليمن، فالموارد اليونانية ترى رأياً، والموارد السريانية ترى رأياً، والموارد الحبشية ترى رأياً آخر، يختلف عن الرأيْن. وكل رأي من هذه الأراء الثلاثة يرجع شرف نشر النصرانية في اليمن إليه.

يحدثنا كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل في عام (٣٥٤) للميلاد (ثيوفيلوس اندس) Theophilus Indus، أي (ثيوفيلوس الهندي)، من جزيرة سرنديب أي سيلان إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس. وقد تمكن من إنشاء كنيسة في عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز، وعين للمتنصرين رئيساً ثم رحل. وصارت ظفار في سنة ٣٥٦م مقراً لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران وهرمز وسقطرى[١]. وقد عثر على مقربة من خرائب ظفار على أعمدة من الطراز (الكورنثي) وعلى بقايا تيجانها وعليها نقوش صلبان يظهر أنها من مخلفات تلك الكنائس القديمة التي شيدت بمساعدة البعثات التبشيرية وفي أيام الحبشة في اليمن[٢].

وزعم (فيلوستورجيوس) Philostorgius أنّ هذا الشعب الذي بشّر (ثيوفيلوس) بين أفراده بالنصرانية، شعب هندي، وكان يدعى سابقاً باسم شعب (سبأ) نسبة إلى عاصمته سبأ ويعرف اليوم باسم حمير Homeritae [٣]. وقد توهم

[1] « تاوفي الهندي » النصرانية (١/ ٥٦).
Alt Kult., S. 148, Philostorgius, Historia Eccleslastica, III, 46, Hugh Scott, in the High Yemen, 1947, p. 211, Mordtmann, Miscellen zur himjarischen Alterthumskunde, in ZDMG., 1877, XXXI, S. 64. ff., Migne, Petr. Grea., LXV, Col., 459-637, Conti Rossini, un documento, p. 710.

[2] Alt. Kult. S. 148, Nallino, Raccolta, III, p. 133, Bury, History of the Roman Empire, II, p. 322.

[3] Philostorgius, I, II, 6, ZDMG., 31, 1877, S. 65.

عدد من الكتبة (الكلاسيكيين) فحسبوا الحميريين من الهنود، كما أن بعضاً منهم ظنوا أن السبئيين من (الكوشيين) الحبش، والذي أوقعهم في هذا الوهم هو صلات هؤلاء بإفريقية وبالهند، ولوقوع بلادهم على المحيط الهندي وعلى مقربة من إفريقية[١].

وجاء في رواية أخرى أن القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل (ثيوفيلوس) إلى ملك حمير Homeritae ونجاشي الحبشة Axume وذلك في عام (٣٥٦) للميلاد. برسائل كتبها القيصر إلى الملكيْن. فلما أنهى مهمته لدى ملك حمير، انتهز هذه الفرصة فزار وطنه الهند، ثم عاد فذهب إلى الحبشة. وعاد منها فذهب إلى أنطاكية Antiochia ومنها إلى القسطنطنية[٢]. ويظهر من هذه الرواية أن مهمته هذه لم تكن مهمة دينية، انما كانت ذات طابع سياسي، الغاية منها ضم حمير والأحباش إلى معسكر البيزنطيين.

وقد كان من مصلحة الحكومة البيزنطية بعد دخول القيصر (قسطنطين) في النصرانية عام (٣١٣) م للميلاد واتخاذها ديانة رسمية للدولة، أن ينشر هذا الدين ويكثر أتباعه، لما في ذلك من فوائد سياسية ومصالح اقتصادية، فضلاً عن الأثر العميق الذي يتركه هذا العمل في نفوس أتباعه المؤمنين مما يرفع من مكانة القياصرة في نفوس الشعب ويقوي من مراكزهم ونفوذهم على الكنيسة والرعية. وبمساعدة هؤلاء القياصرة تمكن المبشرون من إنشاء ثلاث كنائس في (ظفار) و(عدن) و(هرمز) [٣].

ولم يكن يقصد (قسطنطين) كما يرى المستشرق (روسيني) من إرسال الوفد الذي ترأسه (ثيوفيلوس) إلى ملك حمير، هدفاً دينياً محضاً، وإنما أراد أن يعقد معاهدة تجارية مع الحميريين ويحقق له منافع اقتصادية وسياسية، بأن يحقق له التجارة البحرية، ويحرض اليمانيين على الفرس ويدخلهم في معسكره بدخولهم

---

[1] النصرانية (١/ ٥٣ وما بعدها).

[2] Paulys—Wissowa, Zweite Reike, Zehuter Halbband, S. 2167, Philostorgius, Hist. Eccle., II 6, Kidd, A History of the Church, II, 161, III, 429, Bury, History of the later Romen Empire, II, p. 322.

[3] Ency. of Relig. And Ethi., III, p. 589, Franz Stuhimann, Der Kampf um Arabien, S. 12.

في النصرانية التي تجمع عندئذ بينهم وبين الروم[1].

وورد في رواية أخرى أن الحميريين Homeritae دخلوا في عهد (انسطاس) (انسطاسيوس) (٤٩١ ــ ٥١٨م) في النصرانية. وذكر أيضاً أنه كان في جملة من قصدوا القديس (سمعان العمودي) رجال من عرب حمير، وقد رآهم (تاودوريطس) في القرن الخامس للميلاد[2].

وأما الموارد السريانية، ومنها الموارد النسطورية، فتزعم أن تاجراً من أهل نجران اسمه (حنان) أو (حيّان)، قام في أيام (يزدجرد) الأول (٣٩٩ ــ ٤٢٠ للميلاد) بسفرة تجارية إلى القسطنطنية، ثم ذهب منها إلى الحيرة، وفيها تلقن مبادىء النصرانية ودخل فيها. فلما عاد منها إلى نجران، بشر فيها بالنصرانية حتى تمكن من نشرها بين حمير. وترجع تواريخ البطارقة هذه الحادثة إلى أيام بطرقة (معنى) Ma'na الموافقة لحوالى سنة (٤٢٠) بعد الميلاد[3]. وذكر أنه في عهد البطريق (سيلاس) Silas (٥٠٥ ــ ٥٢٣م) هرب لاجئون من اليعاقبة Jakobiten إلى الحيرة، غير أن النساطرة أجلوهم عنها، فذهب قسم منهم إلى نجران، فنشروا مذهبهم بين السكان[4].

وتشير الأخبار الكنسية أيضاً إلى أن رسولي الكلدان الأولين: (ادي) و(ماري) كانا قد سارا إلى بلاد العرب سكان الخيام. وإلى نجران وجزائر بحر اليمن. وجاء في المصحف الناموسي: « وبشر الجزيرة والموصل وأرض السواد كلها وما يليها من أرض التيمن كلها وبلاد العرب، سكان الخيام والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن مارى الذي من السبعين »[5].

وللحبش قصص عن انتشار النصرانية في نجران، خلاصتها: إن قديساً اسمه

---

[1] النصرانية (١/ ٥٩)،
Conti Rossini, un documento sul Cristianesimo nello iemen, p. 710.

[2] النصرانية (١/ ٥٧ وما بعدها)،
Mordtmann, in ZDMG., XXXI, 1877, S. 65, Theodorus, Lector, Histo. Eccl., I, II, p 567, (ed. Valesius and Nicephorus Callistus).

[3] Chronik von Séert, II, 149, ABM, 22, Eduard Sachau, zur ausbreitung des Christentums in Asien, Berlin, 1919, S. 68.

[4] Chronik von Séert, II, 149.

[5] النصرانية (١/ ٥٨).

(ازفير) Azkir، أقام كنيسة ورفع الصليب وبشّر بالنصرانية في نجران، وذلك في أيام الملك (شرحبيل ينكف) ملك حمير، فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) و(ذو قيفان)، وأرسلا رجالهما إلـى المدينة لهدم الكنيسة وإنزال الصليب والقبض على القديس، ففعلوا وألقـوا بـه فـي غياهـب السجن. وفي أثناء اقامته فيه هدى قوماً من السجناء إلى النصرانية بفعل المعجزات التي قـام بها، فغضب الملك (شرحبيل) عليه، وأرسل إلى القيلين اللذين كانا في نجران أن يرسلا اليـه هذا الرجل الذي فتن الناس، فأرسل مخفوراً اليه. وفي أثناء اجتيازه الطريـق إلـى عاصـمة الملك ظهرت منه معجزات خارقة، آمن بها عدد ممن رافقوه أو وقفوا على أحواله وتعمّـدوا على يديه. فلما وصل إلى (ظفار) عاصمة (شرحبيل)، انتهره الملك وحاجه في دينه وعـرض عليه كتب (يهود)، ثم أغراه بالذهب والمال، فقال له القديس: « الذهب والفضة فانيـان، أمـا كرستس ساكن السماء فباق ». وقد حرضه عليه أحد الأحبار، فأمر الملك عندئذ بإرساله إلـى نجران لقتله. فلما بلغ المدينة، قتله اليهود، فمات شهيداً في سبيل دينه[١].

وتزعم الرواية الحبشية أن نصارى اليمن كانوا يرسـلون بهـداياهم إلـى النجاشـي بالضرائب يدفعونها اليه[٢].

وذكر أن أحد الأساقفة ممن كان في اليمن، كان قد اشترك في أعمال مجمـع (نيقيـة) الذي انعقد سنة ٣٢٥ للميلاد[٣]. وإذا صح هذا الخبر، فإنه يعني أن النصرانية كانت قد وجـدت لها سبيلاً إلى اليمن في القرن الرابع للميلاد.

يتبين من هذه الأخبار أن النصرانية لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد، وإنمـا دخلتها من البر ومن البحر، دخلتها من البر من ديار الشأم إلى الحجاز فاليمن، ومن العـراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق. ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية ودخلتها مع الحبشة كذلك الذين كانوا على اتصال دائم باليمن وبقيـة العربيـة الجنوبية منذ أيام ما قبل الميلاد.

---

[1] Winckler, AOF., IV, 1896, S. 329. ff., British Museum Orient., 686, 687, 688, 689.
[2] Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 50.
[3] النصرانية (١/ ٥٧)، Nallino, Raccolta, III, p. 122, Caetani, Annali, I, p. 125 .

وقد كانت نجران أهم موطن للنصرانية في اليمن، ولعلها الموطن الوحيد الذي رسخت هذه الديانة فيه في هذه البلاد. وقد اشتهرت نجران بالحادثة التي وقعت فيها، حادثة تعذيب النصارى، وبما ذكره أهل الأخبار عن الكنيسة التي أنشأها الأحباش فيها وعرفت بـ (كعبة نجران) عند الأخباريين كما عرفت بـ (بيعة نجران) أيضاً. وفي رواية تنسب إلى ابن الكلبي « أنها كانت قبّة من أدم من ثلاث مئة جلد، كان اذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. وكانت لعظمتها عندهم يسمونها كعبة نجران، وكانت على نهر نجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار، وكانت القبّة تستغرقها »[1]. وكان ينفق عليها من غلّة ذلك النهر.

وورد في رواية أخرى أنها كانت بناءً بُني على بناء الكعبة. وقد بناها بنو عبد المدّان بن الديّان الحارثي، بنوها على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة لها. وكان فيها أساقفة معتمون، وهم الذين جاؤوا إلى النبي، ودعاهم إلى المباهلة[2].

وتذكرنا قصة (ابن الكلبي) عن أصل كعبة نجران، وأنها كانت من أدم، بما نعرفه عن خيمة (يهوه) إله العبرانيين، وتعبد الإسرائيليين له فيها قبل بناء الهيكل، واعتقادهم أنها خيمة مقدسة، وبما نعرفه من خيم القبائل المقدسة، وذلك لأنها كانت بيوتاً توضع فيها الأصنام ويتعبد أفراد القبيلة بها، فإذا ارتحلوا إلى مكان جديد نقلوا خيمتهم معهم. والظاهر ان كعبة نجران المذكورة، إن صحت رواية ابن الكلبي، كانت من هذا النوع، خيمة مقدسة في الأصل وذلك قبل دخول أهل نجران في النصرانية، فلما دخلوها، لم تذهب عنها قدسيتها، بل حولوها إلى كنيسة، ثم بنوا بيعة في موضعها فيما بعد.

وفي رواية أن قُس بن ساعدة الإيادي كان أسقفاً على نجران[3]، وهي رواية تحتاج إلى سند موثوق به، وقد أخذ بها (شيخو) وأمثاله ممن يرجع كل شيء

---

[1] البلدان (٨/ ١٩٣)، تاج العروس (١/ ٤٥٧)، (٣/ ٥٥٦)، ديوان الأعشى (١٢٢)، (طبعة كاير) (Geyer)، ابن قتيبة، الشعر والشعراء (٢٨٣)، Raccolta, III, p. 127 .

[2] البلدان (٨/ ٦٢٣) « نجران »، تاج العروس (٣/ ٥٥٦).

[3] Raccolta, III, p. 128, Lammens, Califat, p. 332.

من هذا القبيل في الجاهلية إلى النصرانية.

وقد كانت نجران المركز الرئيس للنصرانية في اليمن عند ظهور الإسلام، لها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له، وعليها: (العاقب)، وهو كما يقول أهل السير: « أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه »، و(السيد)، وهو « ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم »، و(الأسقف)، وهو « حبرهم، وإمامهم، وصاحب مدراسهم »[1]. ويقصدون به رئيس نجران الديني الذي اليه يرجعون في أمور الدين. أما العاقب والسيد، فإليهما إدارة الجماعة، والإشراف على شؤونهم السياسية والمالية، وتدبير ما يحتاج المجتمع اليه من بقية الشؤون[2].

وقد صالح أهل نجران خالد بن الوليد، في زمن النبي، في السنة العاشرة من الهجرة، وبذلك دخل أكثر سكان المدينة في الإسلام. أما من بقي على دينه من النصارى، فقد فرضت عليه الجزية[3].

ويذكر أهل السير أن اسم عاقب نجران في أيام النبي، هو (عبد المسيح) رجل من كندة. وقد قدم على رأس وفد من أهل نجران إلى يثرب، فقابل الرسول، وتحدث معه. وكان معه (الأيهم) وهو سيد نجران يومئذ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم يومئذ، وله مقام عظيم عندهم، « وقد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتى حسن علمه بدينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه وإجتهاده في دينه »[4].

وإذا صح ما رواه أهل الأخبار من أن عاقب نجران كان كندياً، وأن اسقفها كان من (بكر بن وائل)، فإن ذلك يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب،

---

[1] ابن هشام (٢/ ٢٠٤)، تاج العروس (١/ ٣٨٩)، (عقب)، (٦/ ١٤١)، (سقف)، اللسان (١١/ ٥٧)، «وصاحب مدارسهم»، ابن سعد (١/ ٣٥٧).

[2] Raccolta, III, p. 128.

[3] الطبري (٣/ ١٥٧)، « حوادث السنة العاشرة »، البلدان (٨/ ٢٦١ وما بعدها).

[4] ابن هشام (٣/ ٢٠٤)، تاج العروس (١/ ٣٨٩)، اللسان (٢/ ١٥)، ابن سعد (١/ ٣٥٨)، نهاية الإرب (١٨/ ١٢١).

لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة، وإنما كانت عن تنسيب واختيار، وأنا لا استبعد احتمال وجود مراجع دينية عليا، كانت هي التي تتولى النظر في ادارة الكنائس وفي تعيين رجال الدين وفي النظر في المشكلات التي تقع بين النصارى، أو بين النصارى وغيرهم، وفي أمر مساهمة النصارى العرب في المجامع الكنسية التي تنظر في المسائل العامة للطوائف.

ويرى بعض أهل الأخبار أن « السيد والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله » هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم، وكان منزله بنجران[1].

ويذكر علماء اللغة، أن (العاقب) من كل شيء آخره، والعاقب السيد، وقيل الذي دون السيد، وقيل الذي يخلف السيد، وقيل: الذي يخلف من كان قبله في الخير كالعقوب[2]. والذي أوحى اليهم بهذا التأويل والتفسير، ظاهر لفظة (عقب) في عربيتنا التي منها اشتقت لفظة (العاقب) على رأيهم، والصحيح أنها لفظة عربية جنوبية وردت في المسند، بمعنى (رئيس) وممثل قوم، أي رسول قوم، فورد (عقبت نشقم)، أي (رئيس) مدينة (نشق)[3]، وبمعنى ممثل مدينة (نشق)[4].

وذكر أن نصارى نجران، أرسلوا العاقب والسيد في نفر لمحاججة رسول الله فيما نزل عليه في المسيح، من أنه عبد الله، حيث كبر ذلك عليهم سماعه، فاخذوا يخاصمونه ويجادلونه فيه، وألحوا عليه بالجدل والخصومة، فدعاهم إلى الملاعنة، فامتنعوا ودعوا إلى المصالحة، فصالحهم[5]. وأنه إلى ذلك أشير في القرآن الكريم: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ: تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[6].

---

[1] المحبر (١٣١).
[2] تاج العروس (١/ ٣٨٩)، (عقب).
[3] Jamme 619, Ma Mb 178, Mahram, p. 120.
[4] Jamme, South Arabian Inscription, p. 445.
[5] إرشار الساري (٦/ ٤٣٧).
[6] آل عمران، الآية رقم ٦١، تفسير الطبري (٣/ ٢٠٩ وما بعدها)، روح المعاني (٣/ ١٦٥)، إمتاع الأسماع (١/ ٥٠٢)، الواحدي، أسباب (٧٤)، ابن سعد (١ قسم ٢ ص ٨٤)، إشارد الساري (٦/ ٤٣٧).

وورد ايضاً أنه لما بُعث رسول الله وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد، و(مار سرجس)، و(مار يحز)، « فسألوه ما يقول في عيسى. فقال: هو عبد الله وروحه وكلمته. قالوا هم: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها، فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟ فأنزل الله، عز وجل: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ: كُن فَيَكُونُ »[1].

وقد كان لنصارى اليمن كنائس أخرى غير كنيسة (نجران): فقد كانت لهم كنيسة عظيمة في (صنعاء)، هي (القليس) التي اكتسبت شهرة عظيمة في كتب الأخبار والتواريخ وهي كنيسة (أبرهة)، من أصل (اكلسيا) Ecclysia اليوناني بمعنى الكنيسة، وموضعها الآن جامع (صنعاء) على ما يظن. وقد أبدع الأحباش في تزيينها وتجميلها، وأنفقوا عليها مبالغ طائلة.

كما كانت لهم كنائس في (مأرب) و(ظفار). وقد عهد الأحباش بتدبير شؤون كنيسة (ظفار) إلى أسقف شهير يقال له (جرجنسيوس) (جورجيسيوس) (جرجيسيوس). وهو مؤلف كتاب شرائع الحميريين. وله مناظرات مع اليهود[2].

وقد بقيت النصرانية قائمة في اليمن في أيام الإسلام، ففي الأخبار الكنسية أن رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس)، نصب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء، اسمه (بطرس)[3]. وفي (الفهرست) لابن النديم، أنه التقى براهب من نجران يدعى حسّان، كان قد أنفذه الجاثليق إلى الصين، ليتفقد مع خمسة أناسي من النصارى أحوال نصاراها، فعاد منها سنة (٣٧٧) للهجرة، وأخبره بعجائب تلك البلاد[4]. وذكر أنه في حوالي سنة ١٢١٠ للميلاد كان في منطقة صنعاء خمسة أساقفة، وأسقف في مدينة زبيد وأسقف في نجران، وأنه كان في حوالى سنة ١٢٥٠ للميلاد أسقف في عدن[5].

---

[1] تفسير الطبري (٣/ ١٩ وما بعدها).
[2] النصرانية (١/ ٦٤)، Minge, Patr. Grae., 86, 567-620 .
[3] النصرانية (١/ ٦٧).
[4] الفهرست (٥٠٤) « مطبعة الاستقامة ».
[5] النصرانية (١/ ٦٧).

إن بقاء النصرانية في نجران وفي مواضع من اليمن وأنحـاء أخـرى مـن جزيـرة العرب، وبقاء اليهود في اليمن إلى زمن غير بعيد، يشير إلى أن ما ذهـب اليـه كثيـر مـن المؤرخين من إجلاء أهل الكتاب بأمر الخليفة (عمر) عن جزيرة العرب ثم بقية الخلفاء الـذين ساروا على حكم: « لا يجتمع دينان في جزبرة العرب » فيه مبالغة[1]. والظـاهر أن الإجـلاء كان قاصراً على المواضع التي تعرضت فيها جاليات أهل الكتاب فيها للإسلام بسوء. فطبـق على جاليات يهود يثرب ومن كان يسكن إلى الشمال منهم، لوقوفهم موقفاً معادياً شـديداً مـن الإسلام، ولعملهم في إثارة الفتن على المسلمين. ومن يدري فلعلهم، ولعل أهل الكتاب عمومـاً ساعدوا في قيام الردة وتشجيع المتنبين والمرتدين للقضاء على الخطر الذي زعمـوه، خطـر ظهور الإسلام وانتشاره في جزيرة العرب وفي خارجها، وقيام دولة موحدة كبيرة فيها. ومـن يدري أيضاً، فلعل الروم والأحباش كانوا أيضاً في جملة من كان محرض أهل الكتـاب علـى الدس للإسلام، وأن بعض من أعلن الردة مثل (النعمان الغرور) وهو نصراني، وغيره ممـن ارتد معه من النصارى، كانوا قد تلقوا عوناً من الخارج، وهذا ما حمل الخليفـة علـى اتبـاع قاعدة إجلاء الدساسين من أهل الكتاب مهما كان نوعهم عن جزيرة العرب لحماية الإسلام من خطر الفتنة ومن الردة، ولم تكن قواعده قد تركزت واستقرت استقراراً تاماً بعد.

إن الذي افهمه من سياسة إجلاء (عمر) لأهل الكتاب، هو إن ذلك الإجلاء كان خاصاً بالجاليات اليهودية التي كانت تقيم فيما بين فلسطين ويثرب، وقاصراً عليها، بسـبب وقوفهـا موقفاً معادياً من الإسلام، أما النصارى فلم تكن لهم جاليات هناك، فلم يقع إجلاء لهـم فيهـا. ولكن (عمر) ومن جاء بعده لم يطبقوا الإجلاء على الأسر والأفراد، بدليل ما نجده في أخبـار أهل الأخبار من وجود أسر وأفراد من يهود ونصارى في يثرب وفي مكة وفي الطائف بعـد وفاة عمر.

أما في غير الحجاز من بقية أنحاء جزيرة العرب، فلم يطبق قانون (عمر) على أهـل الكتاب، بدليل دفع جالياتهم (الجزية) عن رؤوسهم في أيامه إلى وفاته، ثم في أيام مـن جـاء بعده من الخلفاء. فكأن الخليفة، قد طبق أمر الإجلاء على

[1] « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا أدعْ فيهـا إلاّ مسلماً »، البلدان (٨/ ٢٦٣).

يهود الحجاز لخوفه من خطر بقائهم في مقر الإسلام وفي مدينة الرسول ومن احتمال عــودة من هاجر منهم إلى أرضهم وتكتلهم من جديد، وإثارتهم من لم يكن قد تمكن الإسلام من قلبـــه بعد، فيقع للاسلام ما وقع في أيام الرسول من إتصالهم سراً بكفار قريش، ومـــن حـــدوث ردة جديدة، فقرر إجلاءهم جماعة عن تلك الديار.

النصرانية في بقية مواضع جزيرة العرب:

وكان التجار الروم ينزلون سواحل العربية الجنوبية للتزود منهـا بالمـاء وبالطعـام وللاتجار مع سكانها، ومنهم من أقام بها وقضى حياته فيها، وتعرب. وكان مـنهم مـن بشـر بالنصرانية وعمل على نشرها بين السكان. ولعل الحكومة البيزنطية كانت ترسـل المبشـرين إلى هذه المواضع للتبشير، كذلك أرسل نصارى الحيرة المبشرين لنشر نصرانيتهم في العربية الجنوبيّة[١]. وبعد دخول هذه البلاد في الإسلام احتفظ قوم من النصارى بـدينهم، مقابـل دفـع الجزية للمسلمين[٢].

وأما اليمامة، فكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين قراها وقبائلها. ويظهـر مـن شعر للأعشى مدح به (هوذة بن على) حاكمها عند مبعث الرسول، أنه كان نصرانياً منّ علـى قوم من (تميم) ففك وثاقهم يوم أسروا، ويوم قتلوا وسط (المشقر)، ومنّ عليهم (يوم الفصـح)، يرجو الإلَه بما سدى وما صنعا[٣].

وأما العربية الشرقية، فقد دخلت النصرانية إليها من الشمال، من العراق في الغالـب. ولكن بعض الروم كانوا قد وجدوا سبيلهم إليها، فدخلوها من البحر أيضاً. فعششت في مواضع منها مثل البحربن، وقطر، وهجر، وبعض جزر الخليج. وكانت غالبية نصارى هذه الأرضين على مذهب نسطور آخذين هذا المذهب من نصارى الحيرة الذين كانوا على اتصال وثيق بهم، كما كان رجال دينهم يسافرون إلى هذه المنطقة للتبشير بها، فزرعوا فيهـا بـذور مـذهبهم، ونشروه بين من أقبل على النصرانية من العرب.

---

[1] النصرانية (٧٠).
[2] البلاذري (٨٤).
[3] ديوان الأعشى (٨٦)، جواد علي « تأريخ العرب قبل الإسلام » (٥/ ٢١١).

ومن رجال البحرين النصارى (الجارود بن عمرو بن حنش المعلى)[1]، قدم على النبي بالمدينة، فأسلم وأسلم معه أصحابه. وكان حسن الإسلام صلباً حتى هلك، وقد لام قومه ممن انضم إلى (المنذر بن النعمان بن المنذر) الغرور، فارتد عن الإسلام وعاد إلى دينه الأول[2]. وقد بقي إلى أيام (عمر) في أغلب الروايات والى خلافة عثمان في رواية. واشترك في حروب فارس، فقتل بها بـ (عقبة الطين)، التي عرفت باسمه، فقيل لها عقبة الجارود، وذلك سنة احدى وعشرين في خلافة عمر، وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن. وقد رووا له شعراً. وكان ولده (المنذر بن الجارود) من رؤساء (عبد القيس) بالبصرة. وحفيده (الحكم بن المنذر) الذي مدحه (الأعشى الحرمازي) بشعر حسده الحجاج عليه[3].

---

[1] ويُقال ابن عمرو بن المعلى، وقيل الجارود بن العلاء، وورد الجارود بن عمرو بن حنش، « والجارود لقب بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدي الصحابي، رضي الله عنه. كنيته أبو المنذر، وقيل أبو غياث، وهو أصح »، تاج العروس (٢/ ٣١٨) (جرد).

[2] الطبري (٣/ ١٣٦ وما بعدها)، « قدوم الجارود في وفد عبد القيس ».

[3] الإصابة (١/ ٢١٧)، (رقم ١٠٤٢).

الفصل الثمانون

المذاهب النصرانيّة

لقد أصيبت النصرانية بما أصيبت به أكثر الأديان من تشقق وتصدع وانفصام، فظهر فيها شيع وفرق، تخاصمت فيما بينها وتجادلت. وكان أكثر جدالها في موضوع طبيعة المسيح وعلاقة الأم بالابن، وفي موضوع النفس، وقد عقدت لذلك جملة مجامع كنسية للنظر في هذه الآراء والحكم على صحتها أو فسادها، وفي أمر أصحابها، اجتمع فيها مندوبون من مختلف الأماكن وبينهم بعض الأساقفة العرب. غير أنها لم تتمكن من القضاء على النزعات المختلفة، فظهرت فيها جملة مذاهب، حرمت المجامع أصحابها، وحكمت ببدعتهم وبخروجهم على التعاليم الصحيحة، وطلبت من بعضهم الرجوع إلى الدين الصحيح، غير أن منهم من أصر على رأيه، وتحزب له، وبشّر به، فوجد أنصاراً وأعواناً انتموا اليه وتسموّا به.

والواقع أنه لم يكن من السهل على الداخلين في النصرانية فهم قضية معقدة كهذه القضية، وهي قضية فلسفية جدلية أكثر منها عقيدة دينيه. ولذلك كان من الطبيعي وقوع الاختلاف فيها، وتشتت آراء النصرانية بالقياس اليها، خاصة وهي حديثة عهد، وأكثر الداخلين فيها هم ممن دخلوا حديثاً في هذا الدين، وليس لهم الإدراك العميق والخيال الواسع لفهم موضوع كهذا الموضوع. ثم إن النصرانية ديانة عالمية، لم توجه لأمة خاصة من الأمم، وقد جاءت ككل الأديان بأحكام لا بد وأنْ يختلف الناس في فهمها، لاختلاف المدارك والثقافات، وهذا

الاختلاف في الفهم، يؤدي إلى ظهور المذاهب والشيع، والى تناحر هذه المذاهب، وإدعاء كل واحد منها أنه وحده على الحق، وأن ما دونه على الباطل والهرطقة والكفر.

لقد فتح (بولس الرسول) وأتباع المسيح الآخرون ميداناً واسعاً من الجدل في موضوع المسيح: هل المسيح إنسان، أو هو ربّ، أو هو من خلق الرب؟ وهل هو والربّ سواء، أو هو منفصل عن الربّ؟ هذه الأسئلة وأمثالها مما يتصل بطبيعة المسيح شغلت رجال الكنيسة، وكتّلتهم كتلاً: كل كتلة ترى أن رأيها في الطبيعة هو الرأي الصواب، وأنه هو الدين الحق القويم، وأن ما دونه ضلال وباطل. فظهرت المذاهب: شرقية وغربية، وانقسمت الكنيسة على نفسها، فظهرت من الكنيسة الواحدة كنائس. ولا تزال تنشق، ويزيد عددها وتظهر أسماء جديدة لمذاهب لم تكن معروفة في النصرانية القديمة.

لقد كان الناصريون الأولون، وهي التسمية القديمة التي عُرف بها النصارى، في فوضى فكرية. فلم تكن تعاليم المسيح مفهومة عندهم ولا مهضومة، وكانت تفاسير تلاميذه غير منسقة ولا مركزة تركيزاً يكفي لتوجيه الناصريين وجهة معينة واحدة. ثم إن تعقب اليهود والرومان للنصارى وتنكيلهم بهم، وخوف الناصري على حياته وعلى ماله إذا تظاهر بدينه: كل هذه كان لها أثر خطير في المجتمع النصراني الأول. ولولا جلد بعض التلاميذ وتفانيهم في الدعوة، وتركيزهم لتعاليمها وتبويبها وصقلها، لما كان للنصرانية ذكر باقٍ حتى الآن.

وليس في استطاعة أحد الزعمُ بأن هذه النصرانية التي تركّزت وتثبتت على هذه الصورة التي نشهدها، هي النصرانية التي جاء بها المسيح وكان عليها الناصريون، أيْ أقدم أتباع عيسى. فالنصرانية هي سلسلة تطورات وأفكار وآراء وضعها البارزون من الآباء، ثم إنها كأكثر الأديان تأثرت بمؤثرات عديدة لم يكن من الممكن على الداخلين فيها التخلص منها. فدخلت فيها وصارت جزءاً منها، مع أن بعضها مناهض ومناقض لمبادئ هذا الدين.

وتولد عن هذا الجدل ظهور (الآريوسية) أتباع (آريوس)، و(السبيلية) Sabellians وأتباع (الثالوث) Trinitarians ومذاهب أخرى نبعت من تلك البلبلة الفكرية التي أظهرها الاختلاف في طبيعة المسيح. ونظراً إلى ما أحدثته هذه الآراء

اللاهوتية من انقسام وتفرق في صفوف النصارى، وما تركته من أثر خطير في الأحوال الداخلية للإمبراطورية. عزم الإمبراطور (قسطنطين) باني القسطنطنية على عقد مؤتمر للتوفيق بين هذه الآراء وتنسيقها، فعقد مجمع (نيقية) Nicaea حضره (آريوس) للدفاع عن نفسه وحضره جمع من الأساقفة المخالفين له لمحاكمته ولإثبات هرطقته وخروجه على الإيمان الصحيح. وكانت النتيجة الوحيدة لهذا المؤتمر وضع بيان دقيق عن الثالوث، والحكم بفساد رأي آريوس وبخروجه على عقيدة النصرانية الصحيحة، ووضع تعريف للإيمان الصحيح[1].

وعقب هذا المجمع الذي انعقد في سنة (٣٢٥) للميلاد وحدد معنى النصرانية وأصولها، عدة مجامع عُقدت للنظر في أمثال هذه المشكلات الخطيرة التي جابهت الكنيسة، عقد بعضها في القسطنطنية فعرفت بها، وعقد بعض آخر في (أفسوس) (٤٣١م) وفي (خلقدونيا) Chalcedon (٤٥١م)، ولكنها لم تستطع أن تعيد الوحدة إلى الكنيسة، فانقسمت إلى عدة كنائس، وحدث الانفصال الأكبر في سنة (١٠٥٤م) حيث تجزأت الكنيسة الكبرى للإمبراطورية إلى كنيستيْن: كنيسة غربية استعملت اللغة اللاتينية لغةً رسميةً لها، وكنيسة أرثوذكسية هي الكنيسة الإغريقية الأصلية، وذلك بسبب خلافات بسيطة ليس لها أثر خطير في جوهر العقيدة. أما الشرق، أي آسية وإفريقية، فقد سبق نصاراه نصارى الغرب في تحطيم وحدة الكنيسة، فظهرت عندهم الكنيسة النسطورية والكنيسة اليعقوبية، في زمان مبكر سبق إنفصال الكنيسة اللاتينية عن الإغريقية بزمان طويل.

وقد وصلت إلينا أسماء من حضر بعض تلك المجامع الكنيسية، واشترك في جدالها ومناقشاتها ووقع على قراراتها ومحاضرها، وبينها أسماء أساقفة بشروا بين العرب، وأساقفة يظهر أنهم كانوا من أصل عربي بدليل أسمائهم العربية الخالصة أو المنقولة إلى اليونانية والسريانية. وقد عرف بعضهم بأساقفة الخيام، لمرافقتهم للأعراب ومعيشتهم بينهم في الخيام معيشة الأعراب[2].

---

[1] مجلة المشرق، السنة الثالثة والعشرون (١٩٢٥)، العدد ٧، (٤٨١ وما بعدها)، خلاصة تأريخ الكنيسة، لـ«لومند»، ترجمة الخوري يوسف البستاني، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت ١٨٨١، في جزءيْن (١/ ١٧٤ وما بعدها، Ecny. Religi. snd Ethic., I, pp. 775, (Arianism) .

[2] النصرانية (١/ ٣٣ وما بعدها).

ومن أساقفة الأعراب أسقف عُرف باسم (بطرس)، وقد وقـع علـى أعمـال مجمـع (أفسوس) بصفة كونه (أسقف محلة العرب)، والأسقف (تاوتيموس أسقف العرب) الـذي وقـع على أعمال مجمع انطاكية الذي انعقد عام ٣٦٣ للميلاد[1].

وقد كان بين أساقفة القدس في نهاية القرن الخامس وبداية القـرن السـادس للمـيلاد، أسقف من أصل عربي، اسمه الياس (٤٩٤ ــ ٥١٣م)[2].

فالأساقفة الذين كانوا يديرون أمور النصارى العرب ويبشرون بين القبائـل الوثنيـة، أسهموا في الجدل الديني الذي قام أكثره على بحث موضوع طبيعة المسيح واشـتركوا فيـه، وبذلك نقلوا إلى العرب هذه الأبحاث اللاهوتية التي شغلت بال العالم المتمدن منذ القـرن الأول للميلاد فما بعده، وكانت أهم مشكلات النصرانية يومئذ مشكلة شغلت بال المؤمنين، ثـم بـال الحكومة البيزنطية بعد تنصرها وبال أتباعها المؤمنين، وشغلت العالم الغربي حتى بعد عصر النهضة، مشكلة أطاحت برؤوس الآلاف من الناس باسم الكفر والإيمان، البدعة والحق. وكان في جملة ما أسهم فيه رؤساء أديرة أقليم العربية وضع رسالة مضمونها دستور الإيمان، كتبها أولئك الرؤساء، ووجهوها إلى يعقوب البرادعي، ردّوا فيها على رأي يحيى النحوي في تثليث الجوهر الفرد، وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ للميلاد. وقد وقعها ١٣٧ رئيساً لـ ١٣٧ ديراً في أقليم العربية الممتد من شرقي بلاد الشأم إلى الفرات[3].

ومن المذاهب النصرانية التي تدخل في حـدود موضـوعنا: المـذهب النسـطوري والمذهب اليعقوبي، وهما من المذاهب الشرقية، أي من المذاهب النصـرانية التـي ظهـرت وانتشرت في الشرق، ووجدت لها مجالاً وانتشاراً في العراق وفي بلاد الشأم ومصر والحبشة وجزيرة العرب.

أما المذهب النسطوري، فينسب إلى البطريق (نسطوريوس) (نسطور) Nestorius من (جرمانيقية) Germanicia، وهي (مرعش) المتوفى سنة (٤٥٠م)، وله رأي ومقالة في طبيعة المسيح، فجعل للمسيح طبيعتيْن

---

[1] المشرق، العدد ١٢، الجزء الخامس (٣٥٣)، النصرانية (١/ ٣٤).
[2] W. Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 84.
[3] النصرانية (١/ ١٠٥ وما بعدها).

(اقنومين): أقنوم الإنسان يسوع، وأقنوم الله الكلمة، وذكر أن مريم هي بشر ولدت بشراً هو المسيح الذي هو إلَه من ناحيةَ الأب الإلَه فقط[1].

وتستند تعاليم نسطور وآراؤه إلى الجدل الذي أثاره من تقدمه من الأباء في موضوع طبيعة المسيح، والانشقاق الذي حدث نتيجة لهذا الجدل. وأكثر من أثر فيه وكوّن له رأياً في المسيح هو (ديودورس) Diodorus أسقف (طرسوس) Tarsus و(ثيودور المصيصي) (٣٩٣ ــ ٤٢٨م) تلميذ (ديودورس). وفي انطاكية وقف (نسطور) على آراء هذيْن العالميْن، وكان قد ترهب وسكن هذه المدينة في عام (٤٢٨م) وتحمس لها وبّشر بها بين الناس، فأثار غضب رجال الكنيسة المعارضين لتلك الآراء، فصاروا ينددون به. وبما يقوله ويبشر به، وعدّوه ملحداً خارجاً على تعاليم الكنيسة الصحيحة وعلى مبادىء الدين القويم.

ولنشاط (نسطور) في بث هذه الأفكار وعدم تراجعه عنها، طلب إليه المثول أمام مجلس اجتمع فيه كبار رجال الدين لمحاكمته عرف بـ (مجمع أفسوس) انعقد في عيد العنصرة من عام (٤٣١م)، وبعد محاكمات ومناظرات قرر المجتمعون الحكم بهرطقة هذه الآراء وبمخالفتها للمبادىء العامة التي تدين بها الكنيسة، وبذلك كان الحكم على نسطور وأتباعه بالضلال والإلحاد وبعزله من أسقفية القسطنطنية حكماً رسمياً. ومعنى ذلك مقاومة القائلين بهذه الآراء واضطهادهم والتضييق عليهم في حكومة لها كنيسة خاصة ترى أنها على الحق وأن ما دونها على عمى وضلال.

و كانت (الرها) Edessa أهم مركز ثقافي للنساطرة، ومن أهم معاقل الأدب السرياني. أمَّها كثير من طلبة العلم السريان للتثقف بها، ولا سيما في عهد الأسقف (ايباس) Ibas (٤٣٦ ــ ٤٥٧م) الذي انتخب أسقفاً لهذه المدينة بعد وفاة أسقفها (ربولا) Rabbula في عام (٤٣٦م). ثم نالت (نصيبين) Nisibis مكانة كبيرة في النسطورية، خاصة بعد وفاة ايباس، وانتخاب

[1] المشرق: السنة ١٩٣١ (٦١٥)، « لا يدعُ أحد مريم أم الله لأنها كانت امرأة، ومن المستحيل أنْ يولد الله من امرأة »، علوم اليونان وسبل انتقالها إلىالعرب، أوليري، تعريب الدكتور وهيب كامل (ص ٢٥٤)، شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد « تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان »، القاهرة ١٩٦٥، (ص ٢٩٢، ٣٨٥ وما بعدها).

(نونوس) Nounus أسقفاً للمدينة، وكان هذا متأثراً بالآراء البيزنطيــة كارهــاً للنســطورية، لذلك رأى النساطرة الانتقال عن (الرها) إلى أماكن أخرى لا أثر لنفوذ هذا الأســقف عليهــا، فكانت (نصيبين) الموقع المختار من بين هذه الأماكن، ونالت الحظوة عند رجــالهم، واحتلــت مكانة (الرها) في العلم[1].

ولكن الأسقف (نونوس) كان أسقفاً واحداً من عدد عديد من رجال الــدين الرســميين الذين يمثلون كنيسة الروم، الكنيسة التي حكمت حكماً رسمياً بهرطقة (نسطور)، لــذلك كــان على النسطورية مواجهة الاضطهاد والمقاومة في أي مكان من الأماكن الخاضعة للــروم، أو التابعة لكنيستهم، وللكنائس المعارضة لآراء نسطور. لذلك فكر النساطرة فــي حمــل آرائهــم ومعتقداتهم إلى بلد أملوا أنْ يتمتعوا فيه بحريتهم في ممارسة شــعائرهم الدينيــة، لمعارضــته للإمبراطورية البيزنطية وتشجيعه كل حركة مناوئة لها، ثم لأن له حكومة ذات دين آخر بعيد عن النصرانية، فهي إذن لا تتدخل في أمور المذاهب النصرانية إلاّ إذا كانت مشايعة للــروم، وليست النسطورية من هذه المذاهب.

وقد أظهر (الشاهنشاه) ملك الملوك، استعداده لحماية، النساطرة ومنحهم الحرية الدينية وحرية التبشير بمذهبهم بين رعاياه، كما أظهر رغبته في الاستفادة مــن علمهــم ودرايــتهم، فاختارهم للأعمال التي لم يكن فيها متخصصون من أتباعه، وسمح لهم بالتــدريس وبتهــذيب الناس وبتعليمهم الفلسفة اليونانية، ولا سيما فلسفة أرسطو والطب، وغدت (سلوقية) Seleucia على نهر دجلة قبالة العاصمة (طيسفون) مركزاً ثقافياً خطيراً ينــافس (الرهــا) و(نصــيبين)، وصار هذا المركز من أهم معاقل النسطورية والتبشــير فــي العــراق وفــي ســائر أنحــاء إمبراطورية الفرس.

ومن هؤلاء النساطرة تعلم عرب بلاد العراق وعلى رأسهم أهل الحيرة النســطورية، ومن أهل الحيرة انتقلت إلى جزيرة العرب. ولما كانت السريانية هي اللغــة الرســمية لهــذه الكنيسة، صارت هذه اللغة بهذه الصفة لغة نصارى العرب، بها يرتلون صلواتهم في الكنيســة وبها يكتبون، وإن كانت بعيدة عنهم غير مفهومة لدى

[1] أدي شير (٢/ ١٣٠)، المشرق، ١٩١٠م (ص ٣٩٠)، Socrates Scholasticus, Hist. Eccl., VII, 29-35, O'leary, p. 133, Ency. Relig. Ethi., p. 323.

الأكثرية منهم. لقد كانت على كل حال لغة رجال الدين. وجلهّم من رجــال العلــم فــي ذلــك الزمن. فهي عندهم لغة للدين وللعلم، كما كانت اللاتينية لغة للــدين والعلــم عنــد الرومــان، والإغريقية لغة للدين والعلم عند اليونان، والعربية عند المسلمين.

وأنا حين أقول إن النسطورية كانت قد وجدت لها سبيلاً إلى أهــل الحيــرة، فــدخلت بينهم، فأنا لا أقصد بقولي هذا أن أهل الحيرةَ كانوا جميعاً على هذا المذهب، أو أنهــم كــانوا كلهم نصارى. فقد كان جلّ أهل الحيرة على دين أكثر ملوكهم، أي على الوثنية، أمــا الــذين اعتنقوا النصرانية، فهم العباديون، وبينهم قوم كانوا على مذهب القائلين بالطبيعة الواحــدة، أي مذهب اليعاقبة، وبينهم من كان على مذهب آخر.

وقد تسربت النسطورية إلى العربية الشرقية من العراق وإيران، فدخلت إلــى (قطــر) والى جزر البحرين وعمان واليمامة ومواضع أخرى. وورد في أسماء من حضــر المجــامع النسطورية اسم أسقف يدعى (إسحاق) اشترك في مجمع النساطرة الذي عقد سنة ٥٧٦م، كمــا ذكر اسم أسقف آخر يدعى (قوسي) اشترك في مجمع سنة ٦٧٦م. وقد كانــا أســقفيْن علــى (هجر)[١]. كذلك وردت أسماء أساقفة من النساطرة تولّوا رعاية شؤون أبناء طائفتهم في جزيرة (دارين) وفي جزيرة (سماهيج) وفي مواضع أخرى من الخليج، تولى بعضهم أعمالــه قبيــل الإسلام وعند ظهوره، وتولى بعضهم رعاية شؤون أتباعه في أوائل عهد الإسلام[٢].

ومن الحيرة انتقلت النسطوربة إلى اليمامة فالأفلاج فــوادي الدواســر إلــى نجــران واليمن، وصلت اليها بالتبشير وبواسطة القوافل التجاربة، فقد كانت بين اليمن والحيرة علاقات تجارية وثيقة، وكانت القوافل التجارية تسلك جملة طرق في تنمية هذه العلاقات وتوثيقها. وقد قوي هذا المذهب ولا شك بعد دخول الفرس إلى اليمن، لما عرف من موقف رجاله من كنيسة الروم، ولما كان لأصحابه من نفوذ في بلاط (الشاهنشاه) ومن صداقته لهم[٣].

---

[1] النصرانية (٧١).

[2] النصرانية (٧١).

[3] النصرانية (١/ ٥٩ وما بعدها)، Assemani, Bibl. Orient., 3, 603, Philiby. Arabian Highlands, p. 261.

وتعزو التواريخ النسطورية انتشار النصرانية في نجران إلى رجل اسمه (حسّان) أو (حنّان) أو (حيّان) ذكرت أنه ذهب في أيام يزدجرد (٣٩٩ ـــ ٤٢٠م) إلى القسطنطنية للاتجار. فلما أنجز ما ذهب اليه، عاد إلى وطنه سالكاً اليه طربق (الحيرة)، وهناك اتصل بنصاراها، ودخل في النصرانية التي استهوته. فلما بلغ نجران مدينته، نشط فيها بنشر الدعوة بين الناس حتى دخل فيها كثير منها ومن بقية حمير[١].

وقد ورد أنّ البطريق (تيموثيوس) Timotheos الأول (٧٨٠ ــ ٨٢٣م) كان قد نصّب أسقفاً نسطورياً على اليمن[٢]. وقد سعى الفرس لنشر مذهب النساطرة بين أهل نجران، كما سعوا في تقوية الصلات بين الحيرة ونجران. واذا علمنا أن الفرس أنفسهم لم يكونوا على دين المسيح، عرفنا الأهداف السياسية البعيدة التي كانوا يبتغونها من هذا التقارب ومن نشر المذهب النسطوري في اليمن.

وقد بقيت النسطورية قائمة في اليمن في أيام الإسلام، ففي الأخبار الكنسية أن رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس)، نصّب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء، اسمه (مار بطرس). وأن أساقفة من النساطرة كانوا في مواضع متعددة من اليمن وفي عدن، وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد[٣].

أما اليعاقبة، فقد انتشر مذهبهم بين عرب بلاد الشأم والبادية، وقد اصطدم هذا المذهب بالكنيسة الرسمية للبيزنطيين، واعتبرته من المذاهب المنشقة الباطلة، لذلك حاربته الحكومة، وقاومت رجاله. كما عارضه النساطرة، لاختلافه معهم في القول بطبيعة المسيح، وفي أمور أخرى، وهذا ما حمل النساطرة على الحكم بهرطقة اليعاقبة، كما حمل هذا الاختلاف اليعاقبة على الحكم بهرطقة النساطرة، حتى صار اختلاف الرأي هذا سبباً في وقوع معارك كلامية وجدل طويل عريض بين رجال المذهبيْن[٤].

واليعاقبة Jacobite church ، ويدعون بـ (المنوفسيتيين) Monophysite = Monophystte أيضاً، أيْ القائلين بالطبيعة الواحدة، لقولهم إن للمسيح طبيعة

---

[1] E. Sachau, S. 68, Chro. Seert., I, II, p. 330, Nallino, Raccolta, III, p. 123.
[2] O'leary, p. 141, Sachau, S. 68. f.
[3] النصرانية (١/ ٦٧).
[4] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ص ٢٩٢ وما بعدها).

واحدةً وأقنوماً واحداً، فقيل لهم من أجل ذلك (أصحاب الطبيعة الواحدة)، هم مذهب من مذاهب الكنيسة الشرقية، نسبوا إلى (يعقوب البرادعي) Jacabus Baradaeus ويسمى بـ (جيمس) James أيضاً، المولود في حوالى سنة (٥٠٠) للميلاد في مدينة (الأجمة) Tela = Tella من أعمال (نصيبين) في شرقي (الرها) Edessa والمتوفى سنة ٥٧٨ للميلاد. ولد في أسرة كهنوتية، وتتلمذ لـ (ساويرس) الذي صار رئيساً على بطريركية أنطاكية في عام ٥١٤ للميلاد. ثم اضطر إلى مغادرة انطاكية إلى مصر لاختلافه مع رجال الدين في هذه المدينة في طبيعة المسيح، إذ كان يقول بوجود طبيعة واحدة فيه، ومنه أخذ يعقوب رأيه هذا في المسيح.

وذهب (يعقوب) في حوالى سنة ٥٢٨ للميلاد إلى القسطنطنية، لحمل القيصرة (ثيودورة) Theodora علي التأثير في الكنيسة وحملها على الكف عن اضطهاد القائلين برأيه في طبيعة المسيح. وقد مكث في القسطنطنية خمسة عشر عاماً، وسعى سعياً حثيثاً في نشر مذهبه والتبشير به، وهذا ما أوقعه في نزاع مع بقية رجال الدين هناك لخروجه على تعاليم المجمع الخلقيدوني الذي عين التعاليم الثابتة في طبيعة المسيح.

وكان (يعقوب) أسقفاً على (الرها) Edessa في حوالى سنة (٥٤١م). وكان (الحارث بن جبلة) من المقدرين له، والمحبوبين عنده، لذلك كان ممن توسطوا لدى بلاط (القسطنطنية) للسماح له بالخروج منها، وللتوفيق بين آرائه وآراء الكنيسة البيزنطية، كما توسط (المنذر) لدى البيزنطيين للغرض نفسه[١].

وكان من جملة تلاميذ (يعقوب) والمبشرين بتعاليمه (أحودمة) (أحودمى) الذي اغتيل بأمر كسرى أنو شروان في ٢ آب من سنة ٥٧٥م. وكان من المبشرين النشيطين، ذهب إلى بني تغلب وبشّر بينهم، وقد عرف هؤلاء عند السريانيين بالأعراب سكنة الخيام، وأقام بينهم كهاناً ورهباناً، وبنى لهم ديراً عرف فى السريانية بـ (عين قنا) أي (عين الوكر) وديراً آخر بتكريت سمي (دير جلتاني). وكانت في أيامه أسقفيتان على العرب: أسقفية عرفت بأسقفية

[1] W. Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 328, Devreese, Patr. d’Antioche, 75, 88, 96, Bury, Later Roman Empire., II, 391.

العرب، وأسقفية التغلبيين أو (السن) وكرسيها بـ (عاقولا) (عاقول). وعاقولا هي موضع الكوفة. أما كرسي أسقفية العرب، فكان في الحيرة[١].

كذلك كان من تلاميذه (جيورجيوس) (جرجيس) و(غريغور)، وقد تمكنا بنشاطهما وتبشيرهما من نشر هذا المذهب في بلاد الشأم وبين الأقباط والأرمن[٢].

وقد بذل (شمعون الأرشامي) Shem'on of Beth Arsham و(مراثا) Muratha جهداً كبيراً في نشر هذا المذهب بين أهل العراق، وصارت (تكريت) القاعدة الكبرى للمذهب اليعقوبي في العراق. بقيت محافظة على هذا المركز في الإسلام[٣].

وقد دخل أكثر الغساسنة في هذا المذهب، وتعصبوا له، وطالما توسطوا لدى الروم في سبيل حملهم على الكف عن اضطهادهم والتنكيل بهم. ظلوا مخلصين لهذا المذهب إلى ظهور الإسلام. وقد نعت بعض ملوكهم بنعوت تدل على تنصرهم وتدينهم، مثل: المحبين للمسيح والمؤمنين. وقد وردت في بعض المخطوطات إشارة إلى كاهن نعت بـ (كاهن ذي العزّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث)، كما أنعم القياصرة على بعض ملوك الغساسنة بألقاب لا تمنح في العادة إِلاّ لمن كان على دين النصرانية[٤].

وتذكر تواريخ اليعاقبة قصصاً عن بعض هؤلاء الملوك يشير إلى ذكائهم وتمسكهم في قواعد هذا المذهب وتعلقهم به، ودفاعهم عنه، وإفحامهم بذكائهم وبعلمهم أيضاً لخصوم هذا المذهب من أصحاب المذاهب الأخرى ممن أرادوا اقناعهم بالخروج

---

[1] ذخيرة الأذهان (١/ ٣٠٣).

[2] وللقائلين بالطبيعة الواحدة جملة أسماء، منها المنوفيستيون والأوطاخيون، نسبة إلى أوطاخي من القائلين بالطبيعة الواحدة، والديوسقوريين. راجع: أدي شير: تأريخ كلدو وآشور (٢/ ١٣٢)، ذخيرة الأذهان (١/ ٢٠٨)، النصرانية (١/ ٣٨ وما بعدها)، المشرق، السنة الأولى، الجزء السادس (٢٤٩)، خلاصة تأريخ الكنيسة (١/ ٢٨٨ وما بعدها).

Ency. Relig. and Ethics, XII, p. 172, Ency. Brita., 12, p. 860, Burkitt, early Eastern Christianity, 1904.

[3] Araber, I, S. 10.

[4] ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، تأليف القس بطرس نصري الكلداني (١/ ١٣٢)، النصرانية (١/ ٣٦)، O'leary, p. 192 .

من المذهب اليعقوبي ونبذه، مع ميلهم إلى التوفيق بين المذاهب ومنع الفرقة بين النصارى، كالذي ذكروه مع مناظرة وقعت بين البطريرك (البطريق) افرام (٥٢٦ ــ ٥٤٥م)، وهو من بطاركة الملكيين والحارث بن جبلة ملك الغساسنة وهو على اليعقوبية، وقد أفحم فيها الملك الحارث خصمه على ما يدعيه اليعاقبة بذكائه وبقوة بديهته وحجته، وكالذي رووه عن تعنيف المنذر بن الحارث للبطريرك (دوميان) في أثناء زيارته للقسطنطنية، لتهجمه على اليعاقبة وإثارته بهذا الهجوم الفرقة بين النصارى، وطلبه منه الاتفاق مع (فولا) بطريرك اليعاقبة على التآخي وتوحيد المساعي، وكالذي ذكروه عن هذا المنذر أيضاً من كتابته إلى القيصر (طيباريوس) للتدخل في حمل البطريرك والأساقفة على ايقاف حملاتهم على اليعاقبة، ولكي يسعى في إطلاق الحرية لجميع النصارى، وأن يصلي كل واحد منهم أينما شاء وحيثما شاء[١].

وكان لليعاقبة مشهد مقدس يحجون اليه للتبرك به والنذر له، هو مشهد القديس (سرجيوس) (سرجيس) في مدينة (سرجيوبوليس) Sergiopolis، وهي الرصافة. وكان عرب بلاد الشأم اليعاقبة يتيمنون به، ويضعون صورته مع الصليب على راياتهم أملاً في الفوز في المعارك. والى هذا القديس أشار الشاعر الأخطل بقوله:

لما رأونا والصليب طالعاً ... ومار سرجيس وموتاً ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعاً ... خلوّا لنا راذان والمزارعا[٢]

مما يدل على أن شهرة هذا القديس ظلت بين النصارى حتى في أيام الإسلام. وطالما قصد الأعراب كنيسة هذا القديس لتعميد أبنائهم هناك. وقد كانوا يعقدرن العقود عند قبره، ويقسمون الإيمان عنده، دلالة على التشديد فيها وصدقهم في الوفاء. وكان أمراء الغساسنة يبالغون في تعظيمه والاحتفاء به، ويقصدونه للتبرك به، على عكس نصارى الحيرة الذين امتهنوا القبر في حروبهم مع الغساسنة، واعتدوا على المدينة. وقد كان نصارى الحيرة على مذهب (نسطور) في الأغلب،

[1] المشرق، السنة الرابعة والثلاثون (١٩٣٦) (٦١ وما بعدها).
[2] ديوان الأخطل (٣٠٩)، المشرق، السنة الرابعة والثلاثون، (١٩٣٦)، كانون الثاني، ٢ (٢٤٧)، النصرانية (١/ ٩٩).

كما كانوا من الوثنيين، ولذلك لم تكن لسرجيوس في نفوسهم منزلة ومكانة.

وقد أشار المؤرخ (يوسبيوس القيصري) (أويسبيوس)، إلى رأي كان عند بعض نصارى العرب، خالفوا به مذهب الكنيسة إذ قال: « ونحو هذا الوقت قام آخرون في بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق. إذ قالوا إن النفس البشرية في الوقت الحاضر تموت وتبيد مع الجسد. ولكنهما يتجددان معاً يوم وقت القيامة »[1]. وليس في هذا الكلام كما نرى، أية اشارة إلى أولئك النصارى العرب، ولا إلى مواضع سكنهم. وكل ما يفهم منه أن خلافهم وقع في زمن قريب من زمنه، وأنه كان في موضوع الروح.

وقد جودل القائلون بهذا الرأي، ونوقشوا في مجمع انعقد سنة (٢٤٦م)، عرف بـ (مجمع العربية) Council of Arabia[2].

وقد كان لـ (بولس السميساطي) Paul of Samosata، رأي في المسيح، حتى قيل إنه رأى نفسه في منزلة المسيح، وقد حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة، وحرمته، وأعلنت خلعه عن أسقفية (أنطاكية)، وكان من المقربين إلى الملكة (الزبّاء)، لهذا لم تنفذ ما جاء في حكم الكنيسة عليه[3].

وذكر أهل الأخبار أن من بين فرق النصرانية، أو الفرق التي هي بين بين: بين النصرانية والصابئة دين يقال له (الركوسية)، وذكروا أن الرسول قال لحاتم الطائي: إنك من أهل دين يقال لهم الركوسية[4]. ولكني أشك في صحة هذا الحديث، إذ كانت وفاة حاتم قبل مبعث الرسول، ولم يثبت أنه التقى به.

وهناك شيع عقائدها مزيج من اليهودية والنصرانية. وجدت سبيلها في جزيرة العرب، مثل (الابيونيين) Ebionites و(الناصريين) Nazarenes و(الكسائيين) Elkesaites [5].

---

[1] تأريخ الكنيسة، ليوسابيوس القيصري، ترجمة القس مرقس داوود (ص ٢٩٢ وما بعدها)، Eusebius, 6, 37.

[2] A Religious Encyclopaedia, Vol., I, p. 122.

[3] Runciman, The Mediaeval Maniche, 19. ff.

[4] أسد الغابة (٣/ ٣٩٢)، المشرق، السنة ١٩٠٣ (ص ٥٧٤، ٧٧٧، ٩٢٨)، ١٩٠٥، (ص ٥٠٤)، ١٩٠٧م، (ص ١١٢٠)، ١٩٠٨م، (ص ٤٨٠)، ١٩٣٧، (ص ٧٣ وما بعدها)، اللسان (٧/ ٤٠٥)، تاج العروس (٤/ ١٦٣)، (ركس).

[5] النصرانية (١/ ١١١ ما بعدها).

أما (الأبيونيون) Ebionites، فجماعة من قدماء اليهود المتنصرين عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل التي تعني (الفقراء)، لا يعرف عن كيفية ظهورهم ونشوء عقيدتهم على وجه صحيح أكيد، وكل ما يمكن أن يقال عن معتقداتها إنها مزيج من اليهودية والنصرانية، وإنهـا نصرانية بنيت على أسس ودعائم يهودية، فهي نصرانية يهودية في وقت واحد.

وقد ذهب بعض قدماء المؤرخين إلى أنهم إنما دعوا بهذه التسمية نسبة إلـى مؤسـس هذا المذهب المسمى (ابيون) Ebion . غير أن من الصعب إثبات صحة هـذا الـرأي. وهـم يعتقدون بوجود الله الواحد خالق الكون، وينكـرون رأي (بـولس) الرسـول فـي المسـيح، ويحافظون على حرمة يوم السبت Sabbath وحرمة يوم الرب. وقد ذهب بعض قـدماء مـن تحدث عنهم إلى أنهم فرقتان بالقياس إلى مولد الابن المسيح من الأم العذراء[1]. ويُعتقد أكثـرهم أن المسيح بشر مثلنا، امتاز على غيره بالنبوة، وبأنه رسول الله، أرسله إلى النـاس أجمعـين. فهو رسوله ولسانه الناطق برسالته للعالمين. وهو نبي كبقية من سبقه من الأنبياء المرسـلين. وقد آمن بعض منهم بعقيدة (العذراء) وولادتها للمسيح من غير اتصال ببشر، غير أن بعضـاً آخر منهم، آمن بأن المسيح ابن مريم من (يوسف) فهو بشر تماماً، وأنكر الصلب المعـروف، وذهب إلى أن من صلب، كان غير المسيح، وقد شبه على من صلبه، فظن أنه المسيح حقـاً. ورجعوا إلى إنجيل متى بالعبرانية (The Gospel of Mathew) وأنكروا رسالة (باولس) Paul على النحو المعروف عند بقية النصارى[2].

وأما (الناصريين) (Nazarenes)، فهم فرقة معارفنا عن أصلها وعن كيفية ظهورهـا قليلة كذلك. وأكثر ما نعرفه عنها مستمد مما كتبه عنها (أفيفانيوس) (Epiphanius) و(جيروم) (Jerome). وقد أدخلهم (أفيفانيوس) في جملة (الهراطقة) (Heratics)، وذكـر أنهـم كـانوا يقرأون النسخة العبرانية لإنجيل متى، The Gospel of Mathew وأنهم ظهـروا فـي غـور الأردن.

وقدا اعترفوا بألوهية المسيح (ابن الله)، قائلين إنه ولد من العذراء مريم،

[1] Ency. Brita., Vol., 7, p. 881, (Ebionites), Hastings, Ency. Reli. Ethic., 3, p. 574.
[2] Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity, p. 122..

واعترفوا برسالة القديس (بولس) كما حافظوا على ناموس موسى (Mosaic Law) (شريعة موسى)، وهم يرون أن ميلاد المسيح شيء خارق للعادة، وأنه (المولود الأول من الروح القدس)[1]، وأن تعاليمه، هي متممة للرسالات السابقة ومكملة لها. وقد راعوا حرمة السبت، وما يختص بالأكل وبالختان[2].

وأما (الكسائيون) (Elkesaites)، ففرقة يظهر أنها ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد في وادي الأردن، ومعناها اللغوي (القوى الخفية)، في لغة بني إرم، و(المتخفون)، أو المتسترون تحت الكساء في لغتنا. وقد نبعت من اليهودية. وهي تنسب إلى رجل اسمه (Elkesai) (الكسائي) صاحب كتاب نسب اليه، ويحافظ الكسائيون على الختان وعلى حرمة السبت وعلى سائر أحكام الشريعة الموسوية، وينسب اليه أنه كان يرى تحريم أكل اللحوم. والظاهر أن ذلك من وضع المستخفين بتعاليمه. وإنما كان يحرم أكل ذبائح الوثنيين وما أهل للأوثان. وقد حتم على أتباعه التوجه إلى بيت المقدس في صلواتهم، ومنع التوجه إلى الشرق. وهو يعتقد بوجود إلَه واحد، وباليوم الآخر، وبملائكته. ويرى أن الشياطين هي النجوم الكائنة في المناطق الشمالية من السماء[3].

ومن أهم تعاليم (الكسائيين) الإغتسال، أو ما يقال له (التعميد) (Babtism) وذلك بالاغتسال في النهر أو في البئر لغسل الأدران من الأجسام وتطهيرها. ويسمي المغتسلُ (باسم الله العلي العظيم) (بسم الله الرحمن الرحيم)، ويستعمل الغسل في الشفاء من الآفات كذلك، مثل عض الكلب المكلوب أو الحيوانات المؤذية وإخراج الأرواح الشريرة من الجسم. ولذلك يمكن تسمية هذه الفرقة بالمغتسلة، لجعلها الغسل من أهم أركان الدين.

وللخبز والملح اهمية خاصه لدى أصحاب هذا المذهب، فهما بمثابة العهد عندهم. وهم في ذلك على شاكلة يهود، حيث يتمثل العهد (Convenant) عندهم بالملح والخبز[٤]. ويقسمون بهما الإيمان. وللإيمان عندهم قدسية كبيرة، فلا يجوز لأي

---

[1] Hastings, Ency. Relig. Eathi., 5, p. 141, Ency. Brit., 16, p. 178.
[2] History of the Christianity, by Latoure, p. 121.
[3] Hastings, 5, p. 263.
[4] اللاويون، الإصحاح الثاني، الآية ١٣، العدد، الإصحاح الثامن عشر، الآية ١٢، أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ١٣، الآية ٦.

إنسان كان أن يحنث بيمينه، وأن يخالف ما أقسم عليه، وإلاّ كان عقابه عند الله عظمياً.

والعرب من الذين يقيمون للقسم بالخبز والملح وزناً عظيماً عندهم. فكانوا يحلفون بهما كما يحلفون بالله وبأصنامهم. ولا يجوز الحلف كذباً بهما. ولا زال النـــاس يقســمون بـــالخبز والملح قسمهم بالمقدسات.

وقريب من مذهب (الكسائيين) في الاغتسال ما يذهب اليه الصـــابئون فيـــه. فللغســـل لتطهير الجسم من الآثام الظاهرة والباطنة ومن الأرواح الشريرة مقام كبيرعند الصابئة، ولهذا نراهم يختارون السكنى عند الآبار والأنهار.

ووجدت فرقة عرفت بـ (الفطائريين) (Collyridiens) بالغ أصحابها في عبـــادة مـــريم وفي تأليهها، وكانوا يقدمون لها نوعاً من القرابين أخصها أقراص العجـــين والفطـــائر، لـــذلك عرفوا بالفطائريين. وقد ذكرهم (أفيفانيوس) في كتاب الهرطقات[1].

وعلى عكس هؤلاء كان من دعوا بـ (Antidicomariantes)، وهم الذين أنكروا علـــى مريم دوامها في التبتل، فسموا لذلك بالمعادين لمريم[2].

وذكر أن فرعاً من الأريوسية، أي من أتباع (أريوس)، كان معروفاً بين العرب أطلـــق عليهم القديس (ايلاريوس) اسم (أقاقيين) نسبةً إلى (أقاقيوس). كانوا يقولون إن المســـيح لـــيس هو ابن الله، لأن من قال ذلك جعل لله زوجة[3].

وقد تحدث أهل الأخبار عن قوم قالوا لهم (الأريسيون). ذكروا أنهم « فلاحو الســـواد الذين لا كتاب لهم. وقيل الاريسيون: قوم من المجوس، لا يعبدون النار، ويزعمون أنهم علـــى دين إبراهيم... وقيل إنهم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان فيِ الزمان الأول قتلوا نبياً بعثـــه اللّه إليهم » ، « وقال بعضهم في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية »[4].

---

[1] النصرانية (١/ ١١٣).
[2] النصرانية (١/ ١١٣).
[3] النصرانية (١/ ١١٣).
[4] تاج العروس (٤/ ٩٦)، (ارس).

الفصل الحادي والثمانون

التنظيم الديني

وكان لنصارى العرب تنظيمهم الخاص بدور العبادة وبالتعليم والإرشاد، وهو تنظيم أخذ من تنظيم الكنيسة العام، ومن التقاليد التي سار عليها آباء الكنيسة منذ أوائل أيام النصرانية حتى صارت قوانين عامة. فللكنيسة درجات ورتب، وللمشرفين عليها منازل وسلالم، وقد اقتبست هذه التنظيمات من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشت فيها النصرانية منذ يوم ولادتها، والتي وضعها رؤساؤها لنشر الديانة ولتنظيم شؤون الرعية، حتى صارت الكنيسة وكأنها حكومة من الحكومات الزمنية، لها رئيس أعلى، وتحته جماعة من الموظفين، لها ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم ومنازلهم في مراتب الحكومة، ولهم معابد وبيوت وأوقاف وسيطرة على أتباعهم، جاوزت أحياناً سيطرة الحكومات.

ومن الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى لفظة (البَطْرك) و(البطريق). وقد وردت لفظة (البطريق) في شعر ينسب إلى (أمية بن أبي الصلت)[1].

---

[1] من كلّ بطريق لبطريق نقي الوجه واضح ــ تاج العروس (٦/ ٢٩٦)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٩١)، تاج العروس (٧/ ١١١) (الطبعة الأولى بمصر، مطبعة مصر)، اللسان (١٠/ ٢١٢، ٤٠١)، (دار صادر) «بيروت ١٩٥٦»، البستان (١١/ ١٥٧)، «بيروت ١٩٢٧»، محيط المحيط (١٠٢/١) «بيروت ١٨٦٧م»، مروج (٢/ ١٩٩)، صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢)، (القاهرة ١٩١٥)، «المطبعة الأميرية».

وقد ذهب علماء اللغة إلى أن (البطرك)، هو مقدم النصارى، وهو في معنى (البطريق) أيضاً. وقالوا أيضاً إن البطريق مقدم جيش الروم. و(البطرك) من أصل يوناني هـو «Patriakhis»، (بثريارخيس)، ومعناه (أبو الآباء)، وذلك لأنه الأب الأول والأعلى للرعية، فهـو أب الآبـاء ورئيس رجال الدين. اما لفظة البطريق، فإنها من أصل لاتيني، هو Patrikios، وهـو يعنـي وظيفة حكومية وتعني درجة (قائد) في المملكة البيزنطية[1]. فلا علاقة لها إذن بالتنظيم الـديني للنصرانية.

وبين البطريق (البطرك) والأسقف منزلة يُقال لشاغلها (المطران)، وقد عـرف بأنـه دون البطرك وفوق الأسقف. وقد وسمه (القلقشندي)، بأنه القاضي الذي يفصـل الخصـومات بين النصارى[2]. واللفظة من الألفاظ المعربة عـن اليونانيـة، أخـذت مـن (متروبـوليتيس)، «Mtropolitis»، أي مختص بالعاصمة، أو المدينة[3]. وقـد ذكـر علمـاء اللغـة أن لفظـة (المطران)، ليست بعربية محضة[4].

والأسقف من الألفاظ التي تدل على منزلة دينية عند النصارى، وقد وردت في كتـب الحديث. وقد ذكر بعض علماء اللغة أنه إنما سمي أسقف النصارى أسـقفاً لأنـه يتخاشـع[5]. واللفظة من الألفاظ المعربة المأخوذة عن اليونانية، فهي (ابسـكوبوس) «Episkopos»، فـي الإغريقية، وقد نقلت منها إلى السريانية، ثم نقلت منها إلى العربية[6]. وقـد وردت فـي كتـب التواريخ والسير، حيث ورد في شروط الصلح النى عقدما الرسول مع أهل نجران، شرط هو: « لا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ».

---

[1] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٩٠ وما بعـدها)، غرائـب اللغـة (ص ٢٥٥).

[2] صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢).

[3] محيط المحيط (٢/ ١٩٨٧)، غرائب اللغة (ص ٢٦٩).

[4] تاج العروس (٣/ ٥٤٦)، «مطر»، النصرانية (١٩١)، البلدان (٤/ ١٢٢)، «ديارات الأساقفة».

[5] اللسان (١١/ ٥٦)، البلدان (٤/ ١٢٢)، تاج العروس (٦/ ١٤١)، صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢)، مقدمـة ابـن خلدون (٢٣٤)، تأريخ ابن خلدون (٢٧، القسم الأول ص ٢٩٧)، اللسان (١٥٦/٩) «صادر».

[6] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٩١)، غرائب اللغة (ص ٢٥٢)، محـيط المحيط (١/ ٩٧٠)، البستان (١/ ١١١)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣٧).

والقس من الألفاظ الشائعة بين النصارى، ولا تزال مستعملة حتى الآن. ويُقال لها (قسيس) في الوقت الحاضر أيضاً. وهي من أصل آرامي هو «Gachicho»، ومعناه، كاهن وشيخ[1]. وقد جمعها (أمية بن أبي الصلت) على (قساقسة)[2]. وذكر بعض علماء اللغة أن « القس والقسيس العالم العابد من رؤوس النصارى » وأن « أصل القس تتبع الشيء وطلبه بالليل. يقال تقسست أصواتهم بالليل، أي تتبعتها »[3]. وقد وردت لفظة (قسيسين) في القرآن الكريم: ﴿ ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى. ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4]. ويدل ذلك على أن موقف النصارى تجاه الإسلام كان أكثر مودة من موقف يهود. وقد نسب ذلك إلى القسيسين والرهبان.

وترد لفظة (شماس) في جملة الألفاظ التي لها معان دينية عند نصارى الجاهلية. وهي من الألفاظ الحية التي لا تزال تستعمل في هذا اليوم أيضاً. وتعد من الألفاظ المعربة عن السريانية. وهي «Chamocho»، في الأصل، وتعني خادم، ومنها البيعة. فهي إذن ليست من الوظائف الدينية الكبيرة، وإنما هي من المراتب الثانوية في الكنيسة[5]. وقد ذكر بعض العلماء بأن الشماس يحلق وسط رأسه ويجعل شعره من جوانب رأسه على شكل دائرة، وهو الذي يكون مسؤولاً عن الكنيسة، ويكون مساعداً للقسيس في أداء واجباته الدينية، وفي تقديس القداس أيام الآحاد والأعياد. يعمل كل ذلك للتعبد، وليس لأخذ المال والتكسب[6].

---

[1] غرائب اللغة (ص ٢٠١)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (١٩٢).

[2] لو كان منفلت كانت قساقسة — يحييهم الله في أيديهم الزبر

تاج (٤/ ٢٠٧).

[3] تاج العروس (٤/ ٢١٦)، محيط المحيط (١/ ١٢٢١)، تأريخ ابن خلدون (ج ٢ قسم ١ ص ٢٩٧). المفردات للأصفهاني (ص ٤١٢)، اللسان (٦/ ١٧٤) «صادر»، صبح الأعشى (٤٧٢/٥)، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٣).

[4] المائدة، الآية ٨٥، أسباب النزول (١٥٢)، تفسير الطبري (٢/٧).

[5] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٩٣)، غرائب اللغة (ص ١٩١).

[6] اللسان (١١٤/٦) «صادر» محيط المحيط (١/ ١٢٢١)، صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢)، ابن خلدون (٢٩، القسم الأول، ص ٢٩٧)، البستاني (١/ ١٢٥٩).

وورد في كتاب رسول الله إلى سادة نجران: « لا يغير أسقف عن سقيفاه، ولا راهب عن رهبانيته، ولا واقف عن وقفانيته »[1]. ويظهر من هذا الكتاب أن للواقف منزلة من المنازل الدينية التي كانت في مدينة نجران. والظاهر أنها تعني الواقف على أمور الكنيسة، أي الأمور الإدارية والمالية والمشرف على أوقافها وأملاكها. فهو في الواقع مسؤول إداري، اختصاصه الاشراف على الأمور المتعلقة بأمور الكنيسة وأموالها اذ لا يعقل أن يكون الواقف بمعنى خادم البيعة الذي يقوم بالخدمة بمعنى التنظيف والأعمال البسيطة الأخرى اذْ لا يعقل النص على مثل هذه الدرجة في كتاب صلح الرسول مع سادة نجران. وقد ذكر بعض علماء اللغة: « الواقف خادم البيعة، لأنه وقف نفسه على خدمتها »[2]. ولا يعني هذا التفسير بالضرورة الخدمة على النحو المفهوم من الخدمة في الإصطلاح المتعارف. فقد كان الملوك والسادات يلقبون أنفسهم بـ (خادم الكنيسة) و(خادم المعبد)، أي بالمعنى المجازي. ولا يكون خادماً صارفاً وقته كله في تنظيف الكنيسة وفي القيام بالأعمال التي يقوم بها الخادم الاعتيادي.

وهناك لفظة أخرى لها علاقة بالكنيسة وبالبيعة وبالنواحي الإدارية منها، هي لفظة (الوافه) و(الواقه). وقد عرفوا صاحبها بـ (قيم البيعة التي فيها صليب النصارى)، وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (الواهف) حيث قالوا: « الواهف سادن البيعة التي فيها صليبهم وقيمها كالوافه وعملها الوهافة »، والوهفية والهُفيّة. والظاهر أنها كلها في الأصل شيء واحد، وإنما اختلف علماء اللغة في ضبط الكلمة، فوقع من ثم هذا الاختلاف بينهم[3]. فالوظيفة إذن هي بمنزلة الخازن القيم على شؤون الصليب، يحفظه من السرقة، ويضعه في خزانة أمينة، فإذا حانت أوقات العبادة وضعه في موضعه. فالصليب ثمين، فيه ذهب

---

[1] ابن سعد، الطبقات (١/ ٣٥٨)، «طبعة صادر»، «لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، لا وافه من وفاهيته»، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣٧)، «واقه من وقاهيته»، البلاذري، فتوح (٧٣)، (صلح نجران)، اللسان (١٧/ ٤٥٩)، تاج العروس (٩/ ٤٢١)، الفائق (٢/ ٣١٧)، النهاية (٤/ ٢٤٠).

[2] تاج (٦/ ٢٦٩)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأوّل (ص ١٩٣) اللسان (٩/ ٣٠٦)، «صادر».

[3] تاج (٦/ ٣٧٣)، (٩/ ٤٢١)، المخصص (٦٠٠/١٣)، اللسان (١٣/ ٥٦١) «صادر».

في الغالب، لذلك يكون هدفاً للسراق[1].

ويلاحظ أن علماء الحديث والتأريخ والسير، ليسوا على اتفاق فيما بينهم في تدوين نص كتاب الصلح الذي أعطاه الرسول لأهل نجران، إذ تراهم يختلفون في ضبط نصه: وفي جملة ما اختلفوا فيه جملة: « ولا واقه من وقاهيته »، فقد كتبوها بصور شتى كما رأيت، كما كتبوا النص بأشكال متباينة، مما يدل على أن الرواة قد اعتمدوا على نسخ متعددة للكتاب، وعلى أن أهل نجران كانوا قد نسخوا منه نسخاً، تحرفت نصوصها بالاستنساخ، لعدم تمكن الناسخ من ضبط العبارات ضبطاً صحيحاً. فلمّا دوَّن العلماء صورة النص تباينوا في تدوينه، وأوجدوا لهم تفاسير للفظة (واقف) و(وافه) و(واقه)، وهي لفظة واحدة في الأصل، قرأها النساخ ثلاث قراءات، فظهرت وكأنها ألفاظ مختلفة. وحاروا في تعليل المعنى، فقال بعضهم الوافه: قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة، وقال بعض آخر بلغة أهل الحيرة، وقال بعض: كلها في معنى واحد[2].

وهناك مصطلحات دينية أخرى استعملها النصارى للدلالة على درجات رجال دينهم، مثل (بابا)، وهي كلمة (رومية) وهو أعلى مرجع في نظر النصارى (الكاثوليك)[3]، و(الجاثليق)، وهو رئيس أساقفة بلد ما، والأعلى مقاماً بينهم، وقد أطلقت اللفظة على رئيس نصارى بغداد في العهد العباسي[4] وهي من أصل يوناني هو (كاثوليكوس)، Katholikos ومعناه عام[5].

والساعي من الألفاظ التي تتناول المنازل والدرجات عند النصارى، وتشمل اليهود أيضاً. ويقصد بها الرئيس المتولي لشؤون اليهود أو النصارى، فلا يصدرون رأياً إلاّ بعد استشارته، ولا يقضون أمراً دونه. وقد ورد في حديث حذيفة في الأمانة: « إنْ كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه على ساعيه »[6].

---

1 النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٩٤).
2 اللسان (١٧/ ٤٥٩)، تاج العروس (٩/ ٤٢١)، النهاية (٤/ ٢٤٠).
3 صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢)، تأريخ ابن خلدون (جـ ٢ القسم الأول، ص ٢٩٧)، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٤)، غرائب اللغة (ص ٢٧٧).
4 تاج العروس (٦/ ٣٠٥)، صبح الأعشى (٥/ ٤٧٢)، محيط المحيط (١/ ٢١٤)، البستان (١/ ٣٠٩).
5 غرائب اللغة (ص ٢٥٦).
6 تاج العروس (١٠/ ١٧٨) «سعى»، اللسان (١٤/ ٣٨٧)، محيط المحيط (١/ ٩٦٠)، النصرانية (١٩٢).

ولفظة (بابا) وما بعدها، هي من الألفاظ التي شاع استعمالها في العربية في الإسلام، وليس لدينا ما يفيد استعمالها بين الجاهليين.

وذكر علماء اللغة أن من الألفاظ المعروفة بين النصارى لفظة (العسطوس)، ويراد بها القائم بأمور الدين، وهو رئيس النصارى[1].

أما (الراهب)، فهو المتبتل المنقطع إلى العبادة. وعمله هو الرهبانية. وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الرهبانية غلوٌ في تحمّل التعبد من فرط الرهبنة[2]. وقد ذُكرت الرهبانية في القرآن الكريم[3]، وذكرت في الحديث. وقد نهى عنها الإسلام: « لا رهبانية في الإسلام ». وقد ندد القرآن الكريم في كثير من الأحبار والرهبان، فورد: ﴿ إنّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾[4]. ويظهر من ذلك أن جماعة منهم كانت تتصرف بأموال الناس التي تقدم إلى الأديرة والبيع، فيعيشون منها عيشة مترفة، لا تتفق مع ما ينادون به من التقشف والزهد والعبادة. كما أن منهم من عاش عيشة رفيهة وبطر، فتكبر عن الناس وترفّع، حتى جعلوا أتباعهم يحيطونهم بهالة من التقديس والتعظيم، إلى درجة صيرتهم أرباباً على هذه الأرض. فتقربوا اليهم وقدّسوهم قدسية لا تليق إلاّ للخالق. ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ﴾[5]. ذلك إنهم كانوا يحلّون لهم ما حرم اللّه فيستحلونه ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرمونه. « أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه، فتلك

---

[1] تاج العروس (٤/ ١٩٢)، اللسان (٦/ ١٤١)، محيط المحيط (١/ ١٣٩٦).

[2] المفردات للأصفهاني، (ص ٢٠٣)، اللسان، (ج ١/ ٤٣٧)، «صادر» القاموس (١/ ٧٦)، تاج العروس (١/ ٢٨١)، الصحاح، للجوهري (١/ ١٤٠).

[3] المائدة، الآية ٨٢، التوبة، الآية ٣١، ٣٤، سورة الحديد، الرقم ٥٧، الآية ٢٧، مجمع البيان (٧/ ١٥٨)، تفسير الفخر الرازي (١٢/ ٦٦ وما بعدها)، روح المعاني (٦/ ٨ وما بعدها)، النهاية لابن الأثير (٢/ ١٢٠).

[4] التوبة، الرقم ٩، الآية ٣٤، مجمع البيان (١٠/ ٤٨)، تفسير الطبري (٧/ ٨ وما بعدها)، تفسير الخازن (٧/ ٢٣٣ وما بعدها)، تفسير أبي السعود (٤/ ١٤١ وما بعدها)، المقريزي، السلوك من معرفة سير الملوك (١/ ١٨٢)، (دار الكتب المصرية ١٩٣٦)، السيوطي، الدر المنثور (١٠/ ٧٥).

[5] التوبة، الرقم ٩، الآية ٣١، جامع البيان (١٠/ ٨٠)، الكشاف (٢/ ٣١)، روح المعاني (١٠/ ٧٥)، تفسير الخازن (٢/ ٢١٦).

كانت ربوبيتهم »[1]. وكانوا يطيعونهم طـاعة عمياء، ويأخذون عنهم، ويقدسـونهم، ويقبّلـون أيديهم ولا يعصون أمراً لهم. وذكر أنّ (عدي بن حاتم) الطائي، قال لرسول الله لمـا سـمعه يقرأ: ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ﴾، « يا رسول الله! إنّا لسـنا نعبـدهم. فقال: أليسو يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلوّن ما حرّم الله، فتحلونه! قال: قلت بلى. قال فتلك عبادتهم »[2].

ويظهر من روايات أهل الأخبار، أن من الرهبان من بالغ في الترهب وفـي الزهـد، فخصى نفسه ووضع السلاسل في عنقه أو في يديه أو رجليه ليحبس نفسه، وامتنع عن المأكل والأطايب، مكتفياً بقليل من الماء وبشيء من الخز الخشن، وأن منهم من امتنع عـن الكـلام وصام معظم أوقاته، وابتعد عن الناس متخذاً من الكهوف والجبال والمواضع النائيـة الخاليـة أماكن للتأمل والتعبد. وذلك كما يظهر من نهي الرسول عن الرهبنة والرهبانية، وحمل الإسلام عليها. لأنها تبعد الناس عما أحل اللّه وقد عوض الإسلام عنها بالجهاد في سبيل الله[3].

ومن عادات الرهبان وتقاليدهم التي وقف عليها أهل الجاهلية، الامتناع عن أكل اللحوم والودك، أبداً أو أمداً، وحبس النفس في الأديرة والصوامع، والكهوف، والاقتصاد علـى أكـل الصعب من الطعام والخشن من الملبس، ولبس السواد والمسوح. وهـي عـادة انتقلـت إلـى الأحناف أيضاً وإلى الزهّاد من الجاهليين الذين نظروا نظرة زهد وتقشف إلى هـذه الحيـاة[4]. كما كانوا لا يهتمون بشعورهم فكانوا يطلقونها ولا يعتنون بها ولذلك كانت شـعورهم شـعثاً. وعبّر عن الراهب

---

[1] تفسير الطبري (١٠/ ٨٠ وما بعدها)، تفسير أبي السعود (٥/ ١٤٢)، تفسير الطبرسي (٥/ ٢٢).

[2] تفسير الطبري (١٠/ ٨٠ وما بعدها)، «بولاق».

[3] النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (ص ١٦٣) (٢/ ١٢٠) «المطبعة الخيرية»، اللسان (١/ ٤٣٧ ومـا بعدها)، تاج العروس (١/ ٢٨٠ وما بعدها)، القاموس المحيط (١/ ٧٦)، محيط المحيط (١/ ٨٠٦)، مجمع البيان (٧/ ١٥٨)، (٦/ ١٧٦)، جامع البيان (٢٧/ ٢٣٨)، (١٠/ ١١٤، ١١٧)، الكشاف، للزمخشـري (٤/ ٦٩)، (٢/ ٣١)، (١/ ٤٣)، روح المعاني (٢٧/ ١٦٥)، (١٠/ ٧٥)، (٧/ ٣)، الدرر المنثـور (١٠/ ٧٥)، صحيح مسلم (٨/ ٢٢٩)، «كتاب الزهد»، اللسان (١/ ٤٣٧)، «صادر».

[4] تفسير الطبري (٧/ ٨)، «الطبعة الثانية ١٩٥٦م»، تفسير أبي السعود (٤/ ١٤١ وما بعدها)، تفسير الرازي (١٢/ ٦٧ وما بعدها).

بالأشعث، لأنه كان يطلق شعر رأسه ولا يحلقه ولا يعتني به[١].

ومن الرهبان من ساح في الأرض، فطاف بلاد العرب وأماكن أخرى، وهام على وجهه في البوادي وبين القبائل، لا يهمه ما سيلاقيه من أخطار ومكاره، ومنهم من ابتنى له بناءً في الفيافي وفي الأماكن النائية، واحتفر الآبار وحرث البقول، وعاش عيشة جماعية، حيث يعاون بعضهم بعضاً في تمشية أمور الدير الذي يعيشون فيه[٢]. ومنهم من عاش في قلل الجبال، بعيداً عن المارة والناس.

قال الشاعر:

لو عاينت رهبان دير في القلل　　لانحدر الرهبان يمشي وينزل[٣]

وقد وقف بعض أهل الجاهلية على أخبار هؤلاء الرهبان وعرفوا بعض الشيء عنهم، وبهم تأثر بعض الحنفاء على ما يظهر فأخذوا عنهم عادة التحنث والتعبد والانزواء والانطواء في الكهوف والمغاور والأماكن النائية البعيدة للتنسك والتعبد مبتعدين بذلك عن الناس منصرفين إلى التأمل والتفهم في خلق هذا الكون دون أن يدخلوا النصرانية.

وقد نهى الرسول بعض الصحابة مثل (عثمان بن مظعون)، وهو من النصارى في الأصل من تقليد الرهبان في الإخصاء وفي الامتناع عن الزواج ومن التشدد في أمور أحلها الله للناس.[٤] ويظهر أن هذا التشدد إنما جاء به وإلى أمثاله من وقوفهم على حياة الرهبان وعلى رأيهم وفلسفتهم بالنسبة لهذه الحياة. وفي حق هؤلاء نزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ.

---

[1] تاج العروس (١/ ٦٣٨).

[2] تفسير الطبري (٢٧/ ١٢٤)، روح المعاني (٦/ ٨ وما بعدها)، تفسير الطبري (٧/ ٨ وما بعدها)، تفسير الخازن (٧/ ٢٣٣ وما بعدها)، تفسير أبي السعد (٤/ ١٤١ وما بعدها).

[3] تفسير الطبري (٧/ ٤).

لو أبصرت رهبان دير في الجبل　　لانحدر الرهبان يسعى ويصل

تفسير القرطبي، الجامع (٦/ ٢٥٨).

[4] الدرر المنثور (٢/ ٣٠٧)، مجمع البيان في تفسير القرآن (٧/ ٦ وما بعدها)، تفسير القرطبي (٦/ ٢٦٠ وما بعدها)، مجمع البيان (٢٧/ ١٥٨)، (طبعة دار الفكر، بيروت)، الدرر المنثور، للسيوطي (٢/ ٣٠٧)، روح المعاني (٧/ ٣)، (٢٧/ ١٦٥).

وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1]. وذكر أن الرسول لما سمع بابتعاد (عثمان) من أهله، دعاه، فنهاه عن ذلك. ثم قال: « ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني. فنزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ ﴾. يقول لعثمان لا تجب نفسك، فإن هذا هو الاعتداء »[2].

وورد في الحديث: « لا صرورة في الإسلام »، والصرورة التبتل وترك النكاح، أي ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج، لأن هذا ليس من أخلاق المسلمين، بل هو من فعل الرهبان. وهو معروف في كلام العرب. ومنه قول النابغة:

لو أنها عرضت لأشمط راهب   عبد الإله صرورة متعبد

يعني الراهب الذي ترك النساء[3].

وقد أشير إلى الرهبان في شعر امرىء القيس، اذ أشار فيه إلى منارة الراهب الذيّ يمسي بها يتبتل فيها إلى الله، وعنده مصباح يستتير بنوره[4]. كما أشار فيه اليه وهو في صومعته يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا[5]، دلالة على تهجده وتعبده في وقت يكون الناس فيه نياماً. كما أشير إليهم في شعر شعراء جاهليين آخرين مثل (النابغة الذبياني)، الذي أشار إلى ركوع الراهب يدعو ربه فيه ويتوسل إليه[6]. كما أشار إلى موقف الراهب من رؤية امرأة جمِيلة، وكيف سيرنو اليها

---

[1] المائدة، الآية ٨٧.
[2] تفسير الطبري (٧/ ٦)، روح المعاني (٧/ ٧).
[3] تاج العروس (٣/ ٣٣١)، (صرر).
[4] تضيء الظلام بالعشاء كأنها   منارة ممس راهب متتبل
النصرانية (الجزء الثاني، القسم الأول، ص ١٧٥).
[5] كأنه راهب في رأس صومعة   يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا
النصرانية (جـ ٢، قسم ٢، ص ٣٩٢).
[6] سيبلغ عذراً أو نجاحاً من امرئ   إلى ربه رب البرية راكع
دائرة المعارف الإسلامية «الترجمة العربية» (١٠/ ٩)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الثاني (ص ٣٩٤).

حتى وإنْ كان راهباً أشمط[1]. وقد أشار إلى (ثوبي راهب الدير) والى الحلف بثوبيه[2].

وورد في الشعر ما يفيد بانقطاع الرهبان في الأماكن الصعبة القصيّة مثل قلل الجبال وذراها، حيث لا يأتيهم الناس، فيعيشون في خلوة وانقطاع عن البشر[3]. ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود الرهبان فيها أرض مدين[4]. ووادي القرى ومنازل تنوخ وصوران وزبد[5].

وقد سبّح الرهبان ورجال الدين، اللهَ، في الكنائس وفي الأديرة بألحان عذبة جميلة، ورتلوا الزبور والأسفار المقدسة الأخرى. وقد عرف الجاهليون ذلك عنهم، وأشاروا إلى ذلك في شعرهم، وربما كان بعضهم يحضر تلك التراتيل ويستأنس بها على الرغم من وثنيته وعدم اعتقاده بالنصرانية.

ويقال للراهب الزاهد، الذي ربط نفسه عن الدنيا: الربيط. وقيل له: الحبيس. وذكر أن الربيط، هو المتقشف الحكيم[6]، وأن الحبيس هو الذي حبس نفسه في سبيل الله، فقبعوا في الأديرة وابتعدوا عن الناس. فصاروا كالحبساء[7].

---

[1] تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٨).

لو أنّها عرضت لأشمط راهب عبد الإلـه صرورة متعبد
كرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وإنْ لم يرشد

[2] تاج العروس (١/ ٢٨١).

[3] لو كلمت رهبان دير في القلل لانحدر الراهب يسعى فنزل

اللسان (١/ ٤٣٧) «صادر»، تاج العروس (١/ ٢٨١)، المقريزي، السلوك في معرفة الملوك (١/ ١٨٢)، تفسير الطبري (٢٧/ ١٥٨)، «البابي»، الكشاف (٢/ ٣١)، الدرر المنثور (٦/ ١٧٧)، تفسير الخازن (٢/ ٢١٦)، (٤/ ٢٣٢).

لو أنها عرضت لأشمط راهب في رأس مشرفة الذرى متتبل

الأغاني (١٩/ ٩٢) «دار الثقافة بيروت». وقد نُسب هذا الشعر إلى ربيعة بن مقروم الصيفي. وقد مرّ النصف الأول من هذا البيت من شعر نُسب إلى النابغة الذبياني في تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٨).

[4] قال جرير:

رهبان مدين، لو رأوك تنزلوا والعصم من سعف العقول، الغادر

اللسان (١/ ٤٣٧) «صادر»، تفسير الطبري (٧/ ٤).

[5] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (١٩٦ وما بعدها).

[6] تاج العروس (٥/ ١٤٣)، القاموس المحيط (٣/ ٣٦١)، المقريزي، سير (١/ ١٨٢)، البلدان (٢/ ٢١٣) «صادر».

[7] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (١٩٧)، البلدان (٢/ ٢١٣).

ويُقال للراهب: المقدسي. والمقدس الراهب. وصبيان النصارى يتبركون به، ويتمسحون بملابسه تبركاً[1]. كما قيل له: المتعبد، والأعابد[2] ونسب إلى (امرئ القيس) هذا البيت:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا   كما شبرق الولدان ثوب المقدسي

ويُروى المقدس، وهو الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس، فيمزق الصبيان ثيابه تبركا به[3].

وأما (النهامي)، فهو صاحب الدير، أو الراهب في الدير[4].

ومن الألفاظ التي شاعت بين النصارى ووصل خبرها إلى الجاهليين، لفظة: (الأبيل)، وقد اتخذوها للدلالة على رئيس النصارى. وذكر بعض أهل الأخبار أنها تعني أيضاً (المسيح)، وقد كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله. وهي من الألفاظ المعربة عن السريانية (أبيلو) Abilo، ومعناها في السريانية الزاهد والناسك والراهب. وكانوا يتخذون عادة رؤساءهم من الرهبان المتبتلين[5]. وقد وردت لفظة (الأبيل) في الشعر الجاهلي، في شعر: الأعشى وفي شعر عدي بن زيد. وورد (أبيل الأبيلين)، وأريد بذلك المسيح[6]. وذكر أن (الأبيل) هو صاحب الناقوس، والراهب أيضاً[7]. وأن (الأيبلي)، هو صاحب الناقوس. و(الأيبل)، العصا التي يدق بها الناقوس[8]. قال الأعشى:

---

[1] اللسان (٦/ ١٦٩) «صادر».
[2] اللسان (٣/ ٢٧٢).
[3] تاج العروس (٦/ ٣٩٠)، (شبرق).
[4] تاج العروس (٩/ ٨٨)، (نهم)، المخصص (١٣/ ١٠٠).
[5] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (١٩٠)، غرائب اللغة (١٧٢).
[6] قال ابن عبد الجن، وقيل عمرو بن عبد الحق:

أما ودماء مائرات تخالها   على قنة العزى أو النسر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكل   أبيل الأبيلين، المسيح بن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع   حساماً، إذا ما هزّ بالكف صمما

اللسان (١١/ ٦ وما بعدها)، (أبل)، (صادر).
[7] اللسان (١١/ ٦ وما بعدها)، تاج العروس (٧/ ١٩٩)، الأب مرمرجي، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها)، شعراء النصرانية، لشيخو (٤٥٣)، المخصص (١٣/ ١٠٠).
[8] ديوان الأعشى (٥٣)، «المطبعة النموذجية، ١٩٥٠».

وما أبيلي على هيكل بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

يعني بالجؤار الصياح. إما بالدعاء وإما بالقراءة[١].

والساعور من أسماء المسيح وهو من أصل (سوعورو) So‘ouro، بمعنى زائر. وتطلق اللفظة على من يزور القرى ويطلع على أحوالها وذلك بأمر من الأسقف[٢]. وذكر علماء اللغة أنّ اللفظة من الألفاظ المعربة عن السريانية، وأنّ الأصل (ساعورا)، ومعناه متفقد المرضى، وتطلق اللفظة على مقدم النصارى في معرفة علم الطب[٣].

ويقال لخادم البيعة: الجلاذي[٤]. وذكر أن (الجلذي) الراهب والصانع والخادم في الكنيسة. قال ابن مقبل:

صوت النواقيس فيه ما يفرطه أيدي الجلاذيّ جون ما يغضينا[٥]

و(الكنيس) و(الكنيسة) موضع عبادة اليهود والنصارى، فهما في مقابل (المسجد والجامع) عند المسلمين. والكلمة من الألفاظ المعربة عن الآرامية، وتعني لفظة، «Knouchto» (كنشتو) (كنشت) في السريانية، اجتماع، ومجمع وأطلقت بصورة خاصة على كنيس اليهود[٦]. ولهذا نجد العرب يطلقونها على معبد اليهود كذلك. ويُقال في العبرانية للكنيس (كنيستا)، بمعنى محل الصلاة. ونجد الكتب العربية تفرق بين موضع عبادة اليهود وموضع عبادة النصارى، فتطلق (الكنيس) على موضع عبادة اليهود و(الكنيسة) على موضع عبادة النصارى. وقد ذهب بعض علماء اللغة، إلى أن الكنيسة، هي متعبد اليهود، وأما (البيعة)،

---

[1] تفسير الطبري (١٤/ ٨٢).
[2] غرائب اللغة (١٨٧).
[3] تاج العروس (٣/ ٤٦٨) «الخيرية»، النصرانية، القسم الأول (١٩٤)، القاموس (٢/ ٤٨).
[4] اللسان (٥/ ١٤) «المطبعة الأميرية»، (٣/ ٤٨٢) «صادر»، تاج العروس (٢/ ٥٥٧).
[5] تاج العروس (٢/ ٥٥٧)، (ما يعفينا)، اللسان (٣/ ٤٨٢)، (صادر).
[6] غرائب اللغة (ص ٢٠٤)، النصرانية وآدابها، شيخو (٢/ ٢٠١ وما بعدها)، «الطبعة الثانية، بيروت ١٩٣٣».

فهي متعبد النصارى[1]. وقد عرف علماء اللغة العرب، أنّها من الألفاظ المعربة فقالوا: وهي معربة، أصلها كنست[2].

وقد زوّق النصارى كنائسهم، وجملوها، وزينّوها بالصور وبالتماثيل ووضعوا الصلبان على أبوابها وفي داخلها. ووضعوا بها المصابيح لإنارتها في الليل وكانوا يسرجون فيها السرج، وجعلوا بها النواقيس، لتقرع، فترشد المؤمن بأوقات الصلوات، ولتشير إليهم بوجود مناسبات دينية، كوفاة، أو ميلاد مولود، أو عرس وأمثال ذلك. ومن الكنائس التي اكتسبت حرمة كبيرة عند النصارى العرب: كنيسة القيامة، وكنيسة نجران، وكنيسة الرصافة. وقد أشير في شعر للنابغة إلى (صليب على الزوراء منصوب)، أي على كنيسة.

والتمثال الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق اللّه، أي من إنسان أو حيوان أو جماد[3]. وأدخل العلماء الصور في التماثيل. وقد كانت الكنائس مزينةً بالتماثيل والصور، تمثل حوادث الكتاب المقدس وحياة المسيح. ونظراً إلى محاربة الإسلام للأصنام، وإلى كل ما يعيد إلى ذاكرة الإنسان عبادة الأصنام والصور، والنهي عنها في الإسلام. جاء في الحديث: « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »[4].

وقد كان الروم يمدون الكنائس والمبشرين بالمال وبالفعلة وبالمساعدات المادية لبناء الكنائس والأديرة. والكنائس والأديرة وإن كانت بيوت تقوى وعبادة، كانت بيوت سياسة ودعوة وتوجيه. ونشر النصرانية مهما كان مذهبها ولونها مفيد للروم، فالنصراني مهما كان مذهبه لا بدّ أن يميل إلى إخوانه في العقيدة والدين، ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين.

وفي العربية لفظة أخرى للكنيسة، إلاّ أنها لفظة خصصت بكنيسة معينة، والكنيسة التي بناها أبرهة بمدينة صنعاء، واللفظة هي: (القُلّيس). وللأخباريين آراء في معناها وفي أصلها، بنيت على طريقتهم الخاصة في إيجاد التفاسير للكلمات القديمة من عربية ومن معربة، التي لا يعرفون من أمرها شيئاً. وهي لذلك

---

[1] تاج العروس (٤/ ٢٣٥).
[2] اللسان (٦/ ١٩٩)، تاج العروس (٤/ ٢٣٥).
[3] تاج العروس (٨/ ١١١)، (مثل).
[4] تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٧٣ وما بعدها).

لا تفيدنا شيئاً. والكلمة أعجمية الأصل، عربت، وشاع استعمالها، حتى ظن أنهـا اسـم تلـك الكنيسة. أخذت هذه اللفظة من أصل يوناني هو (أكليسيا) «Ekklesia»، ومعناه في اليونانيـة المجمع، أي الكنيسة. والظاهر أن أهل صنعاء سمعوا اللفظة من الحبش حينما كانوا يـذهبون إلى الكنيسة، فصيروها اسم علم على هذه الكنيسة ولم يدروا أنها تعني الكنيسـة، أي موضـع عبادة[1].

والصوامع والبيع هما من الألفاظ الي استعملها الجاهليون للدلالة على مواضع العبـادة عند النصارى. وقد ذهب العلماء إلى أن البيعة من الألفاظ المعربة[2] أخـذت مـن السـريانية. وأصل اللفظة في السريانية، هو (بعتو) بمعنى بيعة، وقبة، لأنها كانت قبـة فـي كثيـر مـن الكنائس القديمة[3]. وقد استعملت في الحبشية كذلك ولذلك ذهب بعضهم إلى أنها من الحبشـية[4]. وقال علماء اللغة العرب: الصومعة كل بناء متصمع الرأس، أي متلاصقه، والأصمع اللاصقة أذنه برأسه[5]. وقد أشير إلى (البيع) في القرآن: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُـدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾[6]. وقد ذهب بعض علماء اللغة، إلى أن البيعة متعبد اليهود[7]. ولكـن أغلـبهم على أنها متعبد النصارى.

وقد وردت لفظة (بيعة). في نص (أبرهة) الشهير الذي دوّنه على سد مأرب. ففي هذا النص جملة: (وقدس بعَين)، أي (وقدس البيعة)[8].

وذكر أن لفظة (البيعة) قد وردت في شعر ينسب إلى ورقة بن نوفل، حيث زعم أنـه قال:

أقول إذا صليت في كل بيعة تباركت قد أكثرتَ باسمك داعياً[9]

[1] (القُليس)، (القليسة)، اللسان (٤/ ١٨٠)، (قلس)، Ency., II, p. 144, Raccolta, III, p. 127 .
[2] المعرب (٨١).
[3] معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٣)، غرائب اللغة (١٧٥).
[4] النصرانية (الثاني)، القسم الأول (٢١٣)، «طبعة ثانية».
[5] المفردات (٢٨٨)، اللسان (٨/ ٢٠٨)، تاج العروس (٧/ ٤١١).
[6] الحج، الآية ٤٠.
[7] تفسير الطبري (١٥/ ١٧٥) «البابي»، اللسان (٨/ ٢٦) «صادر».
[8] راجع النص في مجلة المجمع العلمي العراقي (٤/ ٢١٥).
[9] الأغاني (٣/ ١٦).

كما ذكر أنها وردت في كلام أناس من الجاهليين والمخضرمين[١].

وقد أشير إلى ورودها في الشعر الجاهلي وفي بعض الأخبار المنسوبة إلى الجاهليين. وردت في شعر منسوب إلى (عبد المسيح بن بقيلة)، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى[٢]. ووردت في بيت منسوب إلى لقيط بن معبد[٣]، وفي شعر ينسب إلى الزبرقان بن بدر التميمي[٤]. ولا بد أن تكون هذه الكلمة من الكلمات المألوفة عند الجاهليين المتنصرين، وعند غيرهم ممن كانوا على الوثنية، غير أنهم كانوا على اتصال بالنصارى، ذلك لأنها من الألفاظ الشائعة المعروفة عند النصارى وقد كانت البيع منتشرة في المدن وفي القرى والبوادي، وطالما قصدها الأعراب للاحتماء بها من الحر والبرد وللاستعانة برجالها لتزويدهم بما عندهم من ماء أو زاد أو للتنزه بها واحتساء الشراب.

والصومعة من أصل حبشي هو (صومعت) على رأي بعض المستشرقين وقد خصصت بـ (قلاية) الراهب[٥]. أي مسكن الرهبان. وبهذا المعنى وردت في القرآن. ويقول علماء اللغة، أنها على وزن فوعلة، سُميت صومعة، لأنها دقيقة الرأس. وهي صومعة النصارى[٦]. وذكر بعض منهم أن الصومعة كل بناء متصمع الرأس، أي متلاصقة[٧]. وقد سميت صومعة لتلطيف أعلاها[٨]. ويدل ورود هذه اللفظة بصورة الجمع في القرآن الكريم، على وقوف الجاهليين على

---

[1] ابن هشام (٩٣٥) «طبعة ليدن»، تاج العروس (٥/ ٢٨٥)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢٠١ وما بعدها).

[2]

كم تجرعت بدير الجرعة غصصا كبدي بها منصدعة
من بدور فوق أغصان على كثب زرن احتساباً بيعه

البلدان (٤/ ١٢٠) «دير الجرعة»، النصرانية، القسم الثاني، الجزء الثاني (٢٠٢ وما بعدها).

[3] تامت فؤادي بذات الخال خرعبة مرت تريد بذات العذبة البيعا

تاج العروس (٥/ ٢٨٥)، النصرانية، القسم الثاني، الجزء الثاني (٢٠٢).

[4] نحن الكرام، فلاحي يعادلنا منا الكرام، وفينا تنصب البيع

ابن هشام (١/ ٩٣٥)، النصرانية، القسم الثاني، الجزء الثاني (٢٠١).

[5] معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها)، Raccolta, III, p. 127 .

[6] اللسان (١٠/ ٧٦)، معجميات (ص ١٥٣)، تاج العروس (٧/ ٤١١)، النصرانية، القسم الثاني، الجزء الثاني (١٧٤، ٢١٣).

[7] مفردات الأصفهاني (ص ٢٨٨).

[8] اللسان (٨/ ٢٠٨) «صادر»,

الصوامع ووجودها بينهم[1]. وقد كان الرهبان قد ابتنوا الصوامع وأقاموا بها للعبادة بعيدين في مختلف أنحاء جزيرة العرب، ومنها الحجاز. وقد وقف الجاهليون عليها، ودخلوا فيها. أما تجارهم ممن قصد بلاد الشأم والعراق، فقد رأوا في طريقهم إلى تلك الأرضين، وفي تلك الأرضين بالذات، حيث انتشرت فيها النصرانية صوامع كثيرة. وتجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة تشير إلى دخول تجار مكة الصوامع في بلاد الشأم وفي وادي القرى، للحصول على ملجأ أو عون.

والقلاّية، وهي كالصومعة، يتعبد فيها الرهبان، وهي من الألفاظ المعربة، عربت من أصل يوناني هو «Kelliyon» ؛ ومعناه غرفة راهب أو ناسك[2]. ومن هذا الأصل انتقلت اللفظة إلى السريانية فصارت (قلّيتا)، فانتشرت بين نصارى بلاد الشأم بصورة خاصة ثم بقية النصارى، منها دخلت العربية. وقد عرف علماء العربية أنها من الألفاظ المعربة، فقالوا: هي تعريب كلاذة، وهي من بيوت عباداتهم، أي عبادات النصارى. وقد وردت في الحديث، كما ورد ذكرها في صلح عمر مع نصارى الشأم، حيث كتبوا له كتاباً: إنّا لا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا قلية[3]. والظاهر أن النصارى توسعوا في المعنى، فأطلقوها على المنازل التي يسكنها الرهبان، ثم توسعوا فيها فأطلقوها على دور المطارنة والبطارقة، وأصلها بمعنى الأكواخ[4].

ولفظة (الدير) هي من الألفاظ النصرانية الشهيرة المعروفة بين العرب. وهي أكثر اشتهاراً من الألفاظ الأخرى التي لها علاقة بمواضع العبادة أو السكن عند النصارى، وذلك لانتشارها ووجودها في مواضع كثيرة من العراق وبلاد الشأم وجزيرة العرب. ولمرور التجار وأصحاب القوافل والمارة بها، واضطرارهم إلى الاستعانة بأصحابها وباللجوء إليها في بعض الأحيان. كما كانت محلاً ممتازاً للشعراء ولأصحاب الذوق والكيف، حيث كانوا يجدون فيها لذة ومتعة تسر العين والقلب، من خضرة ومن ماء بارد عذب ومن خمر يبعث فيهم الطرب والخيال، ولذلك

---

[1] سورة الحج، الرقم ٢٢، الآية ٤٠، النهاية، لابن الأثير (٢/ ١٢٠)، تفسير الطبري (١٥/ ١٧٥).
[2] غرائب اللغة (ص ٢٦٥)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٣).
[3] النهاية (٣/ ٣٠٩)، البكري، معجم (٢/ ٥٨٣)، اللسان (٢٠/ ٦٣)، تاج العروس (٨/ ٨٦)، (قلل).
[4] معجميات (ص ١٨٠ وما بعدها).

أكثر الشعراء في الجاهلية والإسلام من ذكر الأديرة في شعرهم. حتى الشعراء النصارى مثل (عدي بن زيد العبادي)، يترنّم في شعره بذكر الدير، لأنه نادم فيه (بنـــي علقمـــا)، وعاطـــاهم الخمر ممزوجة بماء السماء[١].

ولفظة (الدير) هي مثل أكثر الألفاظ النصرانية من الألفاظ المعربة. عربت من أصـــل سرياني، هو (دير) Dayr، بمعنى دار، أي بيت الراهب[٢]. ومسكنه، ولا سيما المحصـــن، ثـــم خصوا بها مسكن الرهبان[٣]. وقد عرف علماء العربية أن الدير هو مسكن النصارى، يتعبد فيه الرهبان ويسكنون به، وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن الدير بيت يتعبد فيه الرهبـــان، ولا يكـــاد يكون في المصر الأعظم، وإنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال، فإن كان فـــي المصـــر الأعظم فإنه كنيسة أو بيعة[٤] غير أن الأديرة تكون في كل مكان، تكون في القرى وتكون فـــي المدن كما تكون في البوادي وفي رؤوس الجبال[٥].

و(الديراني)، صاحب الدير، وقد ذكر بعض العلماء أن الديراني صاحب الـــدير الـــذي يسكنه ويعمره. نسب على غير قياس. ويُقال للرجل إذا رأس أصحابه هو رأس الدير[٦].

ولا تقتصر الأديرة على الرجال، فللراهبات أديرة أيضاً. ويقضي أصـــحاب الأديـــرة وقتهم في الزهد والتقشف والعبادة. والقيام بالأعمال اليدوية التي يوكلها رئيس الـــدير الـــيهم[٧]. وقد عرف الراهب المعتكف بالدير بـ (الديراني) و(الديرانية)، هي الراهبة[٨]. وقد عرفت أديـــرة الراهبات بـ (أديرة العذارى) كذلك.

1

نادمت في الـــدير بني علقما عاطيتهـــم مشمولة عنـــدما
كان ريح المســـك من كأسها إذا مزجناهما بمـــاء السماء

البلدان (٢/ ٦٣٩، ٦٨٠)، (٢/ ٤٤٩) «بيروت»، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثـــاني، القســـم الأول (ص ٢١٢)، المخصص (١٣/ ١٠٠ وما بعدها).

2 غرائب اللغة (ص ١٨٢).

3 النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٢).

4 معجم البلدان (٢/ ٦٣٩)، (٦/ ٦٣٩).

5 اللسان (٥/ ٢٨٧)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٢).

6 اللسان (٥/ ٣٨٧)، تاج العروس (٣/ ٢٣١).

7 البلدان (٢/ ٦٣٩)، (٤/ ٤٥١).

8 النصرانية، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٢)، الشعر، لابن قتيبة (٢٢٩).

واذ كان لهذه الأديرة حرمة في نفوسهم، فقد كانوا يعقدون فيها عقودهم ويحلفون بهـا على نحو ما كان يفعله الوثنيون في معابدهم حيث كانوا يقسمون الإيمـان ويتعاقـدون أمـام الأوثان، فكان للنصارى في الحرة دير السوا، وفي هذا الدير كانوا يتناصفون ويحلفون بعضهم لبعض على الحقوق[١].

وفي الآرامية لفظة هي (عمرو) Oumro، وقد صارت (العمر) في العربية. ويراد بها البيعة والكنيسة والدير ودار[٢]. وقد وردت في شعر (المتلمس)، حيث جاء:

ألك السديرُ وبارق ومبـايض ولك الخورنق
والعمر ذو الأحساء واللذات من صاع وديسق[٣]

وعرفت العربية لفظة (الكـرح)، و(الأكيراح)، وقـد عرفها علمـاء العربية بقولهم: « الأكيراح: بيوت ومواضع تخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم »[٤]. واللفظة من أصـل سرياني هو (كرحو) «Kourho»، بمعنى كوخ، ومسكن حبيس، وبيت ناسك وراهب[٥]. وذكـر ياقوت الحموي: إن « الأكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم »[٦]. هناك دير اسمه (الأكيراح)، ورد في شعر لأبي نؤاس، ويقع بظاهر الكوفة كثير البسـاتين والريـاحين، وبالقرب منه ديران، يُقال لأحدهما دير عبد، وللآخر دير هند[٧].

والمحراب من الألفاظ التي استعملها النصارى في أمور دينهم كذلك، إذ أطلقوها على صدر كنائسهم. وقد استعملت في الإسلام أيضاً، حيث يشير إلى القبلـة، ويـؤم الإمـام فيـه المصلّين. وقد ذكر بعض علماء اللغة، أن محاريب

---

[1] البلاذري، فتوح (٢٩٢).
[2] غرائب اللغة (ص ١٩٦).
[3] البكري، معجم (٦٩٦)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثـاني، القسـم الأول (ص ٢١٣)، تـاج العروس (٣/ ٣٢٠).
[4] يا دير حنة من ذات الأكيراح من يصحُ عنك فإني لست بالصاح
اللسان (٣/ ٤٠٥)، البكري، معجم (٤/ ٥٧٥)، المخصص (١٣/ ١٠٢).
[5] غرائب اللغة (ص ٢٠٣)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٢، ٢١٤).
[6] البلدان (١/ ٣٤٥).
[7] البلدان (١/ ٣٤٥).

بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلون فيها[1]. وقد وردت لفظة المحراب في أشعار بعض الجاهليين[2]. كما وردت في القرآن الكريم[3]، وفي الشعر الجاهلي[4].

وذكر علماء التفسير أن المحراب كل موضع مرتفع. وقيل الذي يصلي فيه: محراب، وذكروا أن المحاريب دون القصور، وأشرف بيوت الدار. قال عدي بن زيد العبادي:

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير[5]

وذكر علماء العربية لفظة (التامور) (التأمور)، في جملة الألفاظ المتعلقة بالرهبان والرهبنة. وقد عرفها بعضهم بأنها صومعة الراهب وناموسه[6].

وذكر أن (القوس)، بمعنى الدير والصومعة أو موضع الراهب[7]. أو معبد الراهب. وذكر أن أصل الكلمة من الفارسية[8].

وذكر أن (الغربال)، هو مكان أيضاً من أمكنة الرهبان، وأنه كهيئة الصومعة في هندسة بنائه وارتفاعه. وأنه كل بناء مرتفع. ويظهر أنها من الألفاظ المعربة[9].

والاسطوانة، وهي السارية من الألفاظ النصرانية التي وقف عليها الجاهليون. وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبد فوقه بعض الرهبان المعروفين بالعموديين Stylites. قد أشير إلى (اسطوان) في شعر نسبوه إلى (ذي الجدن). وفسرت لفظة (الاسطوان)، و(الاسطوانة)، بأنها موضع الراهب المرتفع[10].

---

[1] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (١٧٤).
[2] اللسان (١/ ٣٠٥)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (١٧٤)، اللسان (٧/ ١٧).
[3] آل عمران، الآية ٣٧، ٣٩، مريم، الآية ١١، ص، الآية ٢١.
[4] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول(١٧٤).
[5] تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧١).
[6] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ٢١٢)، تاج العروس (٣/ ٢٠)، (مر).
[7] اللسان (٨/ ٦٩)، معجم البلدان (٤/ ٢٠٠).
[8] النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول، (ص ٢١٤).
[9] تاج العروس (٧/ ٤١٦)، البلدان (٣/ ٥٢٥)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢١٣).
[10] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢١١)، البلدان (١/ ٣٤٥)، المخصص (١٣/ ١٠٠ وما بعدها).

و(المنهمة) مسكن النّهام، والنهامي، هو الراهب. وأما المنهمة فموضع الراهب[١].

ووردت في شعر للأعشى لفظة (الهيكل). إذ قال:

وما أيبلى على هيكل بناه وصلّب فيه وصارا[٢]

ويذكر علماء اللغة، أن الهيكل: بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى، وربما سُـمّي به ديرهم. وأن الهيكل: العظيم واستعمل للبناء العظيم، ولكل كبير، ومنه سمي بيت النصارى الهيكل[٣]. واللفظة من الألفاظ المعربة، وهي ترد في العبرانية (هيكل) وفي الآرامية (هيكلو). وتعني في اللغتيْن المعبد الكبير ومعبد الوثنيين[٤].

وقد كان الرهبان وبقية رجال الدين وكذلك الأديرة والكنائس يستعملون المصابيح. والقناديل للاستضاءة بهما. ويعبر عن المصباح بالسراج كذلك[٥]. وقد تركت مصابيحهم وقناديلهم أثراً ملحوظاً في مخيلة الشعراء فأشير إليها في شعر (مزرد بن ضرار الذبياني) حيث قيل إنه قال:

كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادل[٦]

وذكر علماء اللغة أن الزيت الذي له دخان صالح ويوقد في الكنائس، هو (السليط)[٧].

ولفظة: قنديل من الألفاظ المعربة، أصلها يوناني هو «Candela»، أيْ شمعة[٨]. وقد دخلت إلى العربية قبل الإسلام، عن طريق الاتصال التجاري بين جزيرة العرب وبلاد الشأم.

---

[1] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢١٤).
[2] اللسان (٦/ ١٤٤)، الأضداد (٢٤)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢٠٣).
[3] المخصص (١٣/ ١٠٠ وما بعدها)، اللسان (١٤/ ٢٢٥)، العقد الثمين (١٨)، النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢٠٢).
[4] النصرانية، الجزء الثاني، القسم الأول (٢٠٢)، غرائب اللغة (٢٠٩).
[5] المفردات، للأصفهاني (ص ٦٧٤).
[6] المفضليات (٣٦) «طبعة السندوبي».
[7] تاج العروس (٥/ ١٥٨)، اللسان (٧/ ٣٢٠)، (سلط).
[8] غرائب اللغة (٢٧٩).

وكان النصارى العرب يتقربون إلى رجال دينهم ويتبركون بهم ويحترمونهم حتى قيل إن الصبيان منهم كانوا إذا رأوا الراهب ينزل ليذهب إلى بيت المقدس أو غيره خرجوا له فتمسحوا به ولثموا ثيابه، حتى يمزقوا ثيابه. والى ذلك أشير كما يقول أهل الأخبار في شعر امرىء القيس:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا   كما شبرق الولدان ثوب المقدس[1]

ولبس رجال الدين ملابس خاصة لتميزهم عن غيرهم، غلب عليها السواد. وقد اختصت لفظة (المسح) و(المسوح) بالملابس التي كان يلبسها الزهّاد والرهبان.

ومن أهم العلامات الفارقة التي ميزت معابد النصارى عن معابد اليهود والوثنيين: (الناقوس)، الذي ينصب فوق سطوح الكنائس وفي منائرها، للإعلان عن أوقات العبادات ولأداء الفروض الدينية، وهو عند الجاهليين خشبة طويلة يقرع عليها بخشبة أخرى قصيرة يطلقون عليها لفظة (الوبيلة) و(الوبيل). وهو في مقابل البوق عند يهود يثرب، أذا أرادوا الإعلان عن موعد العبادة. وقد عرف هذا البوق بين عرب يثرب بـ (القنع) أيضاً[2]، وبـ (الشبور)[3]. وقد ذكر علماء اللغة أن الشبور « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به ». وقال بعضهم: هو القربان بعينه، وذكروا أن الشبور شيء ينفح فيه، فهو البوق عند اليهود، وهو معرّب وأصله عبراني[4].

وقد وردت كلمة (الناقوس) في الشعر الجاهلي: وردت في بيت للشاعر المتلمس[5]،

---

[1] المعاني الكبير (٢/ ٧٦٤).

[2] القنع، وورد القبع والقتع والقثع، اللسان (١٠/ ١٣١).

[3] عمدة القارئ (٥/ ١٠٢ وما بعدها)، اللسان (٨/ ١٢٦).

[4] اللسان (٦/ ٥٩)، تاج العروس (٣/ ٢٨٩)، (شبر)، «وقد نقس بالوبيل الناقوس»، تاج العروس (٤/ ٢٦٢ وما بعدها).

[5] حنت قلوصي بها والليل مطرق   بعد الهدو وشاقتها النواقيس
ديوان المتلمس (١٧٨)، (طبعة فولرس)، (لايبزك ١٩٠٣).

وفي شعر للمرقش الأكبر[1]، وللأعشى[2]، وللأسود بن يعفر[3]. وقد أشير في هذه الأبيات إلى قرع النواقيس بعد الهدوء إيذاناً بدنو الفجر وحلول وقت الصلاة. وقد كانت هذه النواقيس في القرى وفي الأديرة، يقرعها الرهبان والراهبات والقسيسون[4]. وقد أدخل بعض علماء اللغة هذه الكلمة في جملة الألفاظ المعربة التي دخلت العربية من أصول أعجمية[5]. واللفظة من أصل (سرياني) هو (ناقوشا)[6].

أعياد النصارى:

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء أعياد نصرانية ترجع أصول تسميتها في الأكثر إلى لغة بني إرم، ويظهر أن أولئك الأخباريين تعرفوا عليها في الإسلام باختلاطهم وباتصالهم بالنصارى، إذ لم يشيروا إلى ورود أكثرها في الشعر الجاهلي، ومن عادتهم أنهم إذا عرفوا شيئاً كان معروفاً عند الجاهليين جاءوا ببيت أو أبيات يستشهدون بها على ورودها عند الجاهليين.

ومن الأعياد التي ورد فيها شاهد في الشعر الجاهلي، (السباسب)، وهو (يوم السعانين) و(الشعانين). وقد وردت كلمة السباسب في بيت للنابغة قاله في عيد السعانين عند بني غسّان، هو:

---

[1] وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقس
المفضليات (٤٦٥)، النصرانية (٢٠٧).

[2] وكأس كعين الديك باكرت وحدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب
تاج العروس (٢/ ٣٣١)، (حد)، ويروى لعنترة، العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (١٧٩)، (طبعة الوردت)، (Ahlwardt) ، (باريس ١٩١٣)، النصرانية (٢٠٧).

[3] وقد سبأت لفتيان ذوي كرم قبل الصباح ولما تقرع النقس
اللسان (٨/ ١٢٦)، (نقس)، تاج العروس (٤/ ٢٦٣).

[4] النصرانية (٢٠٧)

[5] عمدة القارئ (٥/ ١٠٣)، المعرب (٢٣٩).

[6] Shorter Ency., p. 437.

رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب[1]

و(السعانين) و(الشعانين) من أصل عبراني (هوشعنا). وقد وردت هذه الكلمة في صحيفة صلح (عمر) مع نصارى الشأم، وردت معها لفظة أخرى من الألفاظ النصرانية كذلك هي (الباعوث)[2]، وهي رتبة تقام في اليوم الثاني من عيدَ الفصح[3]، وصلاة لثاني عيد الفصح في بعض الطوائف[4]. وقد ذكرها علماء اللغة في جملة الألفاظ المعربة، والآرمية الأصل، وجعلها بعضهم (الباعوث). وذكروا أنها (استسقاء النصارى)، وأن (عمر) لما صالح نصارى الشأم، كتبوا له أن لا نحدث كنيسة ولا قلية ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً[5].

و (خميس الفصح) من أعياد النصارى كذلك. وهو بعد السعانين بثلاثة أيام، وكانوا يتقربون فيه بالذهاب إلى الكنائس والبيع[6].

وقد أشير إلى عيد (الفصح) في بيت للأعشى يمدح فيه (هوذة بن علي) لتوسطه لدى الفرس بالإفراج عن مئة أسير من أسرى بني تميم همّ الفرس بقتلهم، وذلك لمناسبة يوم الفصح. وقد كان نصارى الجاهلية يحتفلون به، فيوقدون المشاعل، ويعمرون القناديل، ويضيئون الكنائس بالمسارج ويقصدونها للإحتفال بها، حتى قيل للقنديل الذي يعمر لهذا اليوم (قنديل الفصح)[7].

---

[1] «والسباسب أيام السعانين. وفي الحديث أن الله تعالى أبدلكم بيوم السباسب يوم العيد. يوم السباسب عيد للنصارى، ويُسمونه يوم السعانين»، تاج العروس (١/ ٢٩٣)، النصرانية (٢١٥)، غرائب اللغة (٢١٢)، عن «أحد الشعانين»، راجع المشرق: السنة الثامنة، الجزء ٨، السنة ١٩٠٥م، (ص ٣٢٧ وما بعدها).

[2] «أنْ لا يحدثوا كنيسة ولا قلية، لا يخرجوا سعانين ولا باعوثا»، «ويوم السعانين عيد للنصارى. وفي حديث: شرط النصارى ولا يخرجوا سعانين. قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف. قبل عيدهم الكبير بأسبوع. وهو سرياني معرب. وقيل هو جمع واحده سعنون»، اللسان (١٧/ ٧١)، (سعن)، (١٣/ ٢٠٩)، (صادر).

[3] النصرانية (٢١٧).

[4] غرائب اللغة (١٧٣).

[5] اللسان (١٣/ ٢٠٩)، تاج العروس (١/ ٩٠٣)، (بعث)، اللسان (٢/ ١١٨)، (بعث).

[6] الأغاني (٣/ ٣٢)، النصرانية (٢١٦).

[7] قال عدي بن زيد العبادي:

بكروا علي بسحرة فصحبتهم   بأناة ذي كرم كعقب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها   قنديل فصح في كنيسة راهب

الأغاني (٩/ ٥٣)، اللسان (٣/ ٣٧٨)، النصرانية (٢١٦). وورد في شعر لأوس بن حجر:

عليه كمصباح العزيز يشبه   لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

شعراء النصرانية (٤٩٤)، النصرانية (٢١٦).

وقيل لاجتماع النصارى واحتفالهم (الهنزمن)، وذكر أن هذه اللفظة من أصل فارسي هو (هنجمن) أو (أنجمن)، ومنها دخلت إلى السريانية فأطلقت على اجتماع النصارى واحتفالهم وتعييدهم[1].

وقد أشار امرؤ القيس في بعض شعره إلى عيد النصارى، ولبس الرهبان فيه ملابس طويلة ذات أذيال[2].

وكانت الكنائس والأديرة والأضرحة والمقابر الأماكن التي يقصدها النصارى في أعيادهم. فتكون موضع تجمع ولقاء. كانوا يقصدونها للتقرب إلى الرب وللصلوات له. وللتوسل اليه بأن يمن عليهم ويبارك فيهم. وكانوا يقصدون المقابر إظهاراً لشعورهم بأن موتاهم وإنْ فارقوهم وابتعدوا عنهم، غير أنهم لا زالوا في قلوبهم. وأيام الأعياد من أعزّ الأيام على الإنسان، لذلك فهي أجدر الأيام بأن تخصص لزيارة بيوت الأرباب وبيوت الموتى: القبور.

---

[1] قال الأعشى:
إذا كان هنزمن ورحت مخشما
اللسان (١٧/ ٣٢٩)، تاج العروس (٩/ ٣٦٨)، النصرانية (٢١٧).

[2] فآنست سربا من بعيد كأنه رواهب عيد في ملاء مهذب
النصرانية (١٧٣).

الفصل الثاني والثمانون

أَثر النصرانية في الجاهليين

وإذا كنا قد حُرمنا من الموارد الأصلية التي يجب أن نستعين بها في معرفة أثر النصرانية عند نصارى الجاهلية والجاهليين، فإن في الشعر المنسوب إلى بعض نصارى الجاهلية مثل عدي بن زيد العبادي وإلى بعض الشعراء ممن كان لهم اتصال بالنصارى مثل الأعشى، فائدة في تكوين صورة يتوقف صفاؤها ووضوحها وقربها أو بعدها من الواقع والحق على مقدار قرب ذلك الشاعر من الصدق والصواب والواقع والافتعال.

وعدي بن زيد هو أشهر من وصل الينا خبره من شعراء النصارى الجاهليين. هو من العباديين، أي من نصارى الحيرة، ولذلك عرف بالعبادي وكان من أسرة اكتسبت نفوذاً واسعاً ونالت حظاً كبيراً عند الفرس وعند ملوك الحيرة، فكان لها أثر خطير في سياسة عرب العراق في ذلك الزمن. ولما كانت السياسة ارتفاعاً وهبوطاً، سعادة وشقاء، لاقى عدي منها الاثنين: ارتفع حتى بلغ أعلى المنازل، ثم انخفض حتى تلقاه قابض الأرواح وهو في سجنه فقضى عليه بعد أن ترك أثراً خطيراً في سياسة الحيرة وفي تقرير مصير الملك فيها. وعدي، على ما يذكر أهل الأخبار، من أهل اليمامة في الأصل: هاجر أحد أجداده من اليمامة إلى الحيرة بسبب دم اهرقه هناك، فخاف على نفسه من الثأر، ولم يجد محلاً أصلح له وآمن مقاماً من الحيرة، لوجود (أوس بن قلام) أحد رؤساء بني الحارث بن الكعب فيها وهو من أصحاب الجاه والنفوذ وبينه وبين أوس

نسب من النساء، وهو نسب يضمن له الحماية والعيش بسلام، فجاء إلى الحيرة وأقام بها حيث أكرمه أوس وقربه إلى آل لخم، واكتسب منزلة عالية عند ملوك الحيرة، انتقلت من بعده إلى أبنائه الذين كوّنوا لهم صلات وثيقة مع آل لخم ومع ملوك الفرس، بما كان لهم من علم وذكاء ومن سياسة. ويذكر الأخباريون أن جدّ عدي قد تعلم الكتابة في الحيرة، فصار من أكتب الناس فيها، وأنه لذلك انتخب كاتباً لملك الحيرة، واتصل بحكم وظيفته المهمة هذه بدهاقين الفرس، وأنه لما توفي أوصى بابنه زيد والد عدي إلى واحد منهم يعرف بـ (فروخ ماهان) فأخذه هذا إلى بيته، ورباه مع ولده. فتعلم عندهم الفارسية، وحذقها وكتب بها وبرّز، وكان قد، حذق الكتابة بالعربية كذلك، فأوصله الدهقان إلى كسرى، لعلمه هذا باللغتيْن ولذكائه، فعينه في وظيفة مهمة لم يكن الفرس يعينون لها أحداً من غيرهم هي وظيفة البريد. وقد مكث في هذه الوظيفة زماناً جعلته يكتسب منزلة محترمة عند عرب الحيرة والفرس.

وعُني زيد بتربية ولده عدياً: أرسله إلى الكتّاب ليتعلم به العربية. فلما برع فيها، أرسله إلى كتاب الفارسيه حيث تعلم مع أبناء المرازبة فنون القول والكتابة، ثم تعلم الرماية ولعب الفرس حتى صار من المبرزين فيها. وقد قربه علمه وعقله من آل لخم ومن الفرس، حتى وصل إلى مناصب عالية جعلت لقوله أهمية كبيرة حتى في تثبيت ملك ملوك الحيرة.

وقد أرسله (هرمز بن أنو شروان) في سفارة مهمة إلى القيصر (طيباريوس) فأدّاها على خير وجه. وعاد فأقام أمداً بالشام، ووقف على ما كان فيها من علم، ومعالم. وقد زادت هذه الأسفار بالطبع في سعة أفقه وفي ثقافته. ثم عاد إلى الحيرة، فوجد والده قد توفي بعد أن صار المهيمن الحقيقي على البلاد. وزار كسرى ليقدم اليه هدايا قيصر. وارتفع نجمه في البلاطين. وتزوج هنداً بنت الملك النعمان. غير أن تقدمه هذا أوجد له خصومة شديدة من منافسيه (بني مرينا) وهم نصارى مثله ومن أهل الجاه والحسب، فأغرى خصمه ومنافسه العنيد (عدي بن مرينا) قلب النعمان عليه. وكان عدي بن زيد صاحب الفضل في حصول النعمان على التاج. وظل ابن مرينا يعمل في الخفاء للقضاء على عدي،

حتى تمكن من ذلك، إذ سجنه النعمان، ثم أمر فاُغتيل وهو في السجن[١].

و ذكر أن (كسرى) جعله كاتباً على ما يجتبى من الغور، وكان هو سبب ملك النعمان بن المنذر[٢].

والذي يهمنا في هذا الموضع من أمر عدي هو مدى وقوف عدي علـى النصـرانية ومبلغ تسربها في نفسه وفي نفوس أهل الحيرة. أما النواحي الأخرى من حياتـه، فلـيس لهـا محل في هذا المكان. وشعر عدي وأضرابه من العبادبين هو سندنا الوحيد الذي نستخرج منـه رأينا في النصرانية عند عدي وعند إخوانه العباديين.

والشعر المنسوب إلى عدي أقرب إلى نفوسنا وأسهل علينا فهماً من الشعر المنسـوب إلى بقية الجاهليين، معانيه وألفاظه حضرية متحررة من الأساليب البدوية التـي تميـل إلـى استعمال الجزل من الكلمات، وهـو يخالف مذاهب أولئك الشعراء في كثير من الأمور. ولهذا « كانت الرّواة لا تروي شـعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتهما مـذاهب الشـعراء »[٣]، و« لأن ألفاظه ليست بنجدية »[٤]. وقد ورد في شعره بعض المعربات ممـا يـدل علـى أثـر الفارسية والآرمية فيه[٥]. وكثير من شعره هو في الزهد، وفي التذمر من هذه الـدنيا التـي لا تدوم حالها على حال، وفي تذكير الأحياء بنهاية الأموات بالرغم مما أقاموه وشيّدوه من أبنيـة ضخمة وقصور شاهقة. وهذا الشعر يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار عن حياة هذا الشـاعر، وتألق نجمه وبلوغه أعلى المراتب ثم سقوطه فجأة ودخوله السجن واغتياله فيه. وفي شـعره قصائد في القيان وفي الخمر تتحدث عن الحياة التي قضاها قائلها، وهي حياة لذيذة ولكنهـا لا تدوم بالطبع إلى الأبد، ولا بد لها أن تزول ثم تنتهي بما

---

[1] المشرق، الجزء الأول، كانون الأول ١٩٤٤، (ص ٢٦ وما بعدها)، شعراء النصرانية (٤٢٦ وما بعـدها)، راكلوتا نالينو، تأرخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر بني أمية (ص ٧١)، (القاهرة ١٩٥٤).
Ency., I, p. 137, Brockelmann, I, S. 29, Rothstein, S. 109, Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber Zu Zeit der Sassaniden, S. 512, Islamic Culture, IV, p. 31, ff.

[2] نوادر المخطوطات، أسماء المغتالين (١٤٠).

[3] الأغاني (١٥/ ٩٣)، (مطبعة التقدم)، (ذكر أخبار أبي دؤاد الأيادي ونسبه)، نالينو (٧٤).

[4] ابن قتيبة، الشعر (١١٥).

[5] نالينو (٧٤).

يوجب الأسف عليها والألم والتوجع من فنائها ومن ذهاب تلك الأيام.

أما صميم الديانة والآراء النصرانية الخاصة، وهي ضالتنا في هذا الفصل وهدفنا الذي نقصده، فلا تجد منها في شعره الموثوق بصحته شيئاً كثيراً. ونحن لا نستطيع بالطبع أن نلوم عدياً على ذلك، فعدي كما نعلم رجل شعر وسياسة، وليس برجل دين ولا كهانة فيتعمق في شعره بإيراد تواريخ الأنبياء والأوامر والنواهي الإلهية الواردة في التوراة والإنجيل. ولم يذكر أحد من الأخباريين عنه أنه كان كاهناً أو قسيساً فنأمل منه التطرق في شعره إلى موضوعات اللاّهوت والكهنوت. فما نجده في شعره عن النصرانية هو من حاصل المناسبات والظروف، وليس من حاصل بحث متعمد قصد به البحث في الدين من أجل الدين.

ولو كان عديّ قد تعرض للنصرانية عنده وبين قومه لأفادنا ولا شك كثيراً. وما زلنا في الواقع فقراء في ناحية علمنا بمبلغ فهم أهل الحيرة وغير أهل الحيرة من نصارى العرب في الجاهلية لأحكام النصرانية وقواعدها، ومقدار رسوخها في نفوس أولئك النصارى ولا سيما الأعراب منهم. ولكن عذره كما قلت بينَ واضح، وليس لنا أن نلومه. وما جاء به عن النصرانية في شعره على كل حال مفيد، أفادنا ولا شك. فلنكن قنوعين غير طامعين، مكتفين مما أورده عدي عنها في شعره، ولننظر إلى المستقبل، فهو أملنا الوحيد، فنجده يكشف عن مصادر كتابية مطمورة، يبعثها من قبورها المغمورة بالأتربة المتراكمة، وعندئذ تكون أمام المؤرخ ثروة تغنيه، يستطيع أن يظهرها العشاق للمولعين بمعرفة أحوال الماضين.

وقد ورد في قصيدة قيل إنّه نظمها في معاتبة النعمان على حبسه بيت فيه قسم برب مكة والصليب:

سعى الأعداء لا يألون شراً   عليك ورب مكة والصليب[1]

وهذا البيت يدعو إلى التأمل والتفكير، فرجل نصراني يؤمن بعيسى وبالصليب، لا يمكن أن يقسم برب مكة. فمكة كما نعلم مجمع الأصنام والأوثان وكعبة الوثنية في الجاهلية، فكيف يقسم بربها رجل نصراني يرى الأوثان والوثنية رجساً من عمل الشيطان وكفراً. بل لو فرضنا أنه أقسم بمكة وبرب مكة على سبيل مجاراة

---

[1] شيخو، شعراء النصرانية (٤٥١).

العرب الوثنين وتقرباً إلى الملك النعمان، فليس لدينا دليل مقنع يفيد أن وثنيي الحيرة كانوا يؤمنون برب مكة. ولم يذكر أحد من أهل الأخبار أن أصنام أولئك الوثنيين كانت بمكة، وأن أهل الحيرة كانوا يزورون مكة ويحجون إلى (رب البيت) في جملة من كان يحج إليه من العرب. ولم يرد في روايات أهل الأخبار أن الملك (النعمان) كان وثنياً مؤمناً بقدسية مكة وأنه حج اليها حتى نذهب إلى الفرض بأن عدياً، إنما أقسم بمكة، مجاراة لهذا الملك، بل الوارد فيها أنه كان على دين النصرانية، وإنه كان مؤمناً بهذا الدين، يزور الأديرة ويحضر الصلوات ورجل على هذا النحو من التدين لا يمكن بالطبع أن يحفل بقسم ببيت من بيوت الأصنام. ثم أن مصطلح (رب مكة)، هو مصطلح إسلامي، أخذ من عقيدة التوحيد في الإسلام، فقيل: (رب البيت) و(رب هذا البيت)[1].

لقد اتخذ الأب (شيخو) هذا البيت دليلاً على انتشار النصرانية في مكة وعلى تنصر أحياء منها، وعلى أن النصرانية قديمة فيها، بل يكاد يفهم من قوله أن البيت هو في الأصل كنيسة بنيت بعد المسيح بعهد قليل: بناها النصارى الذين جاءوا إلى هذه المدينة وسكنوها، وأن صور الأنبياء وصورة عيسى وأمه مريم التي ذكر الأخباريون أنها كانت مرسومة على جدار الكعبة والتي أمر الرسول بطمسها ومحو معالمها هي دليل على أثر النصرانية في مكة، ولهذا كان النصارى الجاهليون يحجون اليها ويقدسونها، ولهذا السبب أقسم[2] عدي بها، وأقسم الأعشى بها كذلك حيث قال:

حلفت بثوبي راهب الدير والتي   بناها قصيّ والمضاض بن جرهم

وذكر أن من شعر (عدي) هذا البيت:

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت   فيكم وقابل قبر الماجد الزارا[3]

وقد اختلف العلماء في مراده بـ (ذات الودع)، فذهب بعضٌ منهم إلى

---

[1] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾، سورة قريش، الآية ٣.

[2] النصرانية (ص ١١٨)، وفي الديوان:

فإني وثوبي راهبٍ النج والتي   بناها قصي وحده وابن جرهم

ديوان الأعشى (ص ٧٥).

[3] تاج العروس (٥/ ٥١٤)، (ودع).

أن (ذات الودع) الأوثان، أو وثن بعينه، وقيل سفينة نوح، وكان يحلف بها، وكانـت العـرب تقسم بها، وتقول: بذات الودع. وقيل الكعبة، لأنه كان يعلق الودع في ستورها[1].

ولم يرد في شعر عدي شيء ما يتحدث عن عقيدة التثليث، أي الإيمان بالثالوث. وكل ما ورد فيه هو الإشارة إلى عقيدة بوجود رب واحد هو (الله). وهـو رب مسـتجيب مسـبّح خلاق[2]. وهذا الرأي إسلامي كما هو معلوم، وقريب من عقيدة الحنفاء.

ووردت في بيت شعر وجهه إلى النعمان كلمة (أبيل)[3]، وأبيل اسم للمسـيح، ويطلـق على حبر النصارى أيضاً، ومعناها الناسك والزاهد. وهي من أصل سرياني، من فعل (ابـل) بمعنى ناح وبكى على خطاياه، ولذلك قصد بها الناسك والراهب[4]. وقد دعا الأعشى ضـارب الناقوس: الأبيل[5].

ونسب لعدي هذا البيت:

وأهبط الله إبليسـاً وأوعـده ناراً تلهب بالأسعار والشرر[6]

---

[1] المصدر نفسه.

[2]

فإني قـد وكلت اليوم أمـري إلى ربٍ قـريب مسـتجيب

...

أجـل أن الله قـد فضلـكم فـوق من أحكأ صلبـا بازار

...

واذهبي يا أميم أن يشـأ اللـ ـه بنفسي من أزم هذه الخناق

أو تكن وجهه فتلك سبيل النـ لا تمنع الحتـوف الـرواقي

...

ليس شيء على المنون ببـاق غير وجه المسـيح الخـلاق

شعراء النصرانية (٤٥٢، ٤٥٤)، النصرانية (١٦٢).

[3] إنني وله فاقبل حلفي لأبيل كما صلى جار

وروي:

إنني والله فاقبل حلفتي بأبيل كلما صلى جار

شعراء النصراينة (٤٥٣)، النصرانية (١٩٤).

[4] تاج العروس (٧/ ١٩٩)، (ايل)، اللسان (١٣/ ٦)، مرمرجي، معجميات عربية سامية (١٣١ وما بعدها).

[5] فإني ورب الساجدين عشية وما صك ناقوس الصلاة أبيها

النصرانية (٢٠٨).

[6] النصرانية (١٦٨).

ولم ترد كلمة (إبليس) في شعر منسوب لشاعر جـاهلي آخـر، إنمـا وردت كلمـة (شيطان) في شعر منسوب إلى أميّة بن أبي الصلت.

ونسب إلى عدي هذا البيت:

ناشدتنا بكتـاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تقتنع[1]

ويظهر من دراسة الشعر المنسوب لعديّ أنه كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر. فكل كائن خاضع لحكم القدر، يفعل به ما يشاء، ليس في إمكانه ردّ شيء مقدر كائن عليه. وقد رسخت هذه العقيدة في نفس عدي ولا شك بعد أن زجّ به في السجن، وأصبح وحيداً لا يدري ما الذي سيصنع به. وهي عقيدة يسلم بها أكثر من يقع في مثل هذه الظروف، لأنها تفرج عـن النفس، وتخفف بعض التخفيف عما ينتاب المرء وهو في هذه الحالة مـن همـوم وأحـزان. والإيمان بالقدر وبأن الإنسان مسير مجبر، عقيدة لها صـلة كبيـرة بـالظروف الاجتماعيـة وبالأحوال التي تحيط بالانسان، وهي ليست من الآراء الدينية الخالصة.

ونسبت لعدي أبيات فيها حكايات من العهد العتيق، مثل هذه الأبيات وهي فـي مبـدأ الخلق:

اسمع ديثـاً لكي يوماً تجاوبه عن ظهر غيب إذا ما سـائل سألا
أن كيف أبدى إلـه الخلق نعمته فينـا وعرفنـا آيـاتـه الأولا
كانت رياحـاً ومـاءً ذا عُراثيه وظلمـة لم يـدع فتقـاً ولا خلـلا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزّل الماء عمـا كان قـد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرهـا تحت السماء سواء مثـل ما فعـلا
وجعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهـار وبين الليل قـد فصلا
قضى لسـتة أيـام خلائقـه وكان آخـر شيء صوّر الـرجلا[2]
دعاه آدم صوتاً فاسـتجاب لـه بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[3]

---

[1] شعراء النصرانية (٤٧٢).

[2] قضى لستة أيام خليقتـه وكان آخـرها أن صور الرجـلا
الحيوان (٤/ ١٩٨)، (عبد السلام محمد هارون).

[3] البدء التأريخ (١/ ١٥٠ وما بعدها)، النصرانية (٢٥٤)، وتجد في النص بعض الاختلاف عن النص الـذي تجد في كتاب النصرانية، وفي المراجع الأخرى.

وطابع هذا النظم وأسلوبه يفصحان أنه نظم من النوع التعليمي الديني، لا أدرى أكان شاعرنا يعترف به وينسب إلى نفسه؟ أمّا أنا، فلا أرى أنه لشاعر عربي عاش قبل الإسلام.

ونجد فيِ شعر (عدي) نزعة من نزعات التصوف والتأمل، جاءت اليه من الأوضاع التي أحاطت به، من وشايات، ومن غضب الملك عليه ومن سجن، بعد أنْ كان السيد المهيمن. حتى صار الدهر عنده حالاً بعد حال. لا يدوم صفاؤه لأحد، فلا يركن أحد اليه، ولا يغتر إن وجد نفسه في أعلى عليين، فقد يسقط غداً إلى أسفل سافلين[١].

وهناك شاعر آخر اسمه (الملمس بن عبد المسيح) يدل اسم أبيه على أنه كان نصرانياً، غير أنّ هناك رواية أخرى تذكر ان اسم والده (عبد العُزى)[٢]. وعبد العُزى من أسماء الوثنين كما هو معروف. ثم إننا لا نجد في شعره ما يشير إلى آراء وعقائد نصرانية يمكن أن يستنبط منها أنه كان نصرانياً. ورجل يحلف في شعره باللات والأنصاب لا يعقل أن يكون نصرانياً[٣].

أما الأعشى، فهو شاعر عاش في الجاهلية، وأدرك أيام الرسول. ومدحه بقصيدة جميلة مشهورة، جعلت أبا سفيان يحرض قومه على ارضائه خوفاً من ان يسلم ومن أن ينظم شعراً آخر في مدح الرسول وفي ذم قريش، فجعل له مائة من الإبل جمعها من قومه على أن يرجع ويؤجل أمر إسلامه عاماً. فرجع إلى بلدته (منفوحة) باليمامة، وكان قد ولد بها، فمات بها بعد حين وعرف قبره بين الناس أمداً.

وكان الأعشى كما يروي أهل الأخبار جواباً في الآفاق، عرف الحيرة ونادم ملوكها، وزار النجاشي في أرضه، وتجول في أرض النبيط وأرض العجم. وتنقل في أرجاء اليمن وفي حضرموت وعمان وبلاد العراق وبلاد الشأم ومتع نظره

---

[1] العمدة (١/ ٢٢٣).

[2] Vollers, Die Gedichte des Mutalammis, Leipzig, 1903, S. 149.

[3] اطردتني حذر الهجاء ولا واللات والأنصاب لا تئل
ديوان المتلمس (١٧١)، (طبعة فولرس)، النصرانية (٤٠٤).

بالآثار القديمة واتخذها عبرة للمعتبرين[١]. وقد وسعت هذه الأسفار آفاق نظره وعرفته على شعوب متعددة وعلى آراء ومعتقدات متنوعة. ومنها هذه النصرانية التي نبحث فيها.

وقد حمله اختلاطه بالنصارى العرب على الإشارة إلى بعض طقوسهم وأحوال عباداتهم في شعره. وإلى أن يشير إلى قصص معروفة بين أهل الكتاب، واردة بينهم، فذكره في شعره. فتراه يتحدث عن حمامة نوح وعن أخبار سليمان وعن جنّ سليمان وعن المباني القديمة العادية المنسوبة إليه، كما تراه يشير إلى عادة النصارى في الطواف حول الصليب أو تمثال المسيح[٢]. ثم تراه يشير إلى الصليب نصبه الراهب في الهيكل بعد أنْ زيّنه بالصور[٣].

وفي الشعر المنسوب اليه إقرار بإلَه واحد كريم[٤]، ونهي عن عبادة الأوثان ومن التقرب منها[٥]، وفيه إن الرب يكفي الإنسان ويرعاه ويساعده في حله وفي ترحاله[٦]،

1
وقد طفت للمال آفاقه — عمان فحمص فأوري شلم
أتيت النجاشي في أرضه — وأرض النبيط وأرض العجم
فنجران فالسرو من حمير — فأي مرام له لم أرم
ومن بعد ذاك إلى حضرموت — فأوفيت همي وحينا أهم
ألم ترى الحضر إلاّ أهله — بنعمى، وهل خالد من نعم؟
أقام به سابور الجنود — حولين بضرب فيه القدم
فما زاده ربه قوة — مثل مجاورة لم يقم
ديوان العشى «طبعة رودولف كاير»، (ص ٣٣ وما بعدها).
قد طفت ما بين بانقيا إلى عدن — وطال في العجم ترحالي وتسياري
ديوان الأعشى (١٢٦)،

2 قال في مدحه «قيس بن معديكرب الكندي»:
تطوف العفاة بأبوابه — كطوف النصارى ببيت الوثن
ديوان الأعشى (١٩)، اللسان (١٧/ ٣٣٤)، (وثن).

3
وما أيبلى على هيكل — بناه وصلب فيه وصارا
ديوان الأعشى (٤٠)، النصرانية (٢٠٤)، بروكلمان، تأريخ الأدب العربي (١/ ١٤٧ وما بعدها).

4
ربي كريم لا يكدر نعمه فإذا تنوشد في المهارق أنشدا
النصرانية (١٦٢).

5
وذا النصب المنصوب لا تسكننه — لا تعبد الأوثان، والله فاعبدا
النصرانية (١٥٩).

6
ولكن ربي كفى غربتي — بحمد الإله فقد بلغن
ديوان الأعشى (١٧).

وإن الإنسان عبده[1]. وإن الفناء واقع على كل امرىء، وليس أحد في هذه الدنيا بخالد، ولو كان الخلود لأحد لكان لسليمان[2]. وفيه حديث عن البعث والحساب يوم الدين.

ونجد في شعره معرفة بنوح وبسفينته، أشار إلى نوحٍ في مدحه إياسا حيث خاطبه بقوله:

جزى الإله إياساً خير نعمته   كما جزى المرء نوحاً بعدما شابا
في فلكه اذ تبداها ليصنعها   وظل يجمع ألواحاً وأبوابا[3]

فهل أخذ الأعشى رأيه هذا عن نوح من أهل الجزيرة؟ وهل كان في ذلك قاصداً متحدثاً مخاطباً رجلاً نصرانياً يعرف الحكاية والموضوع؟ أو كان متحدثاً عن نوح حديث من يدين به ويعتقد، فهو رأيه ودينه. الواقع أن البت في ذلك أمر لا أراه ممكناً ما لم تتجمع لنا موارد تأريخية كثيرة، ليتمكن المرء من استنتاج رأي واضح في أمثال هذه الموضوعات المعقدة، التي لم تدرس مظانها المدوّنة، ولم تنتقد حتى الآن.

وقد ذهب (كاسكل) «Caskel» إلى ان (الأعشى) كان نصرانياً. وذهب الأب (شيخو) هذا المذهب أيضاً، وجوّز (بروكلمن) تنصره، لكن ذهب إلى أنه لم يكن متعمقاً في النصرانية[4]. وقد استدل (كاسكل) على نصرانيته من بيتيْن في ديوانه، ومن بيت آخر ورد في قصيدة أخرى، لا يمكن في الواقع أن يكون دليلاً على نصرانية قائله[5].

وذكر أنه كان قدرياً، روى روايته (يحيى بن متى) وهو من عباد الحيرة،

[1] فأقسم بالذي أنا أعبده   لتصطفقن يوماً عليك المآتم
ديوان الأعشى (٥٨).

[2]
ولو كان شيء خالداً ومعمرا   لكنا سليمان البرئ من الدهر
رأه إلهي فأصطفاه عبادة   وملكه ما بين ثريا إلى مصر
وسخر من جن الملائكة تسعة   قياماً لديه يعملون بلا أجر
ديوان الأعشى (٢٤٣).

[3] شعراء النصرانية (٣٨٩)، النصرانية (٢٦١).

[4] تأريخ الأدب العربي لبروكلمن (١/ ١٤٧ وما بعدها).

[5] انظر البيتيْن ١٢ ـــ ١٣ من القصيدة رقم ٣٤ بديوانه، والبيت ٩ من القصيدة ١٣ بالديوان، بروكلمن، تأريخ الأدب العربي (١/ ١٤٧)، (الترجمة العربية).

انه أخذ مذهبه هذا في القدر من العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر، فلقنوه ذلك. وقد استشهدوا على قوله هذا في القدر بهذا البيت:

استأثر الله بالوفاء وبالعد   ل وولى الملامة الرجلا[1]

وقد راجعت شعر (الأعشى)، فلم أتمكن من استنباط رأي منه يدل على مقدار علمه بالنصرانية وعلى مدى تعمقه أو تعمق غيره من النصارى بدينهم. فما ذكره مما له علاقة بالنصرانية، هو شيء عام، يأتي بخاطر كل شاعر ذكي جوّاب في الآفاق، له احتكاك واتصال بالنصارى أو بغيرهم، وهو لا يصلح أن يكون دليلاً على عقيدة ودين وفهم لذلك الدين.

وفي شعر (الجعدي) كلام عن سفينة نوح، ذكر أنه قال:

يَرْ فعُ، بالقار والحديد من الـ   جوز، طوالاً جذوعها، عُمما[2]

والنابغة الجعدي، مخضرم، يُقال إنه كان مثل الحنفاء، أنكر الخمر والميسر، وهجر الأزلام والأوثان. وكان ممن فكر في الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وهجر الأزلام واجتنب الأوثان، وذكر دين إبراهيم. وقد لقي الرسول، وأسلم وأنشده من شعره. وذكر أنه هو القائل القصيدة التي فيها:

الحمد للهِ ربي لا شريك   له من لم يقلها فنفسه ظلما

على نحو شعر أمية بن أبي الصلت، وقد قيل إنها لأمية، لكن صححها حماد الراوية[3].

ونجد في شعر آخرين من غير من ذكرت ألفاظاَ وكلمات كانت معروفة عند النصارى وإشارات إلى عباداتهم وعاداتهم، وردت في شعر (النابغة الذبياني) ولبيد، وامريء القيس، وأوس بن حجر وآخرين غيرهم ممن طافوا في الأرضين وارتحلوا فوقفوا على بعض أحوال النصارى فأشاروا إليها في شعرهم.

---

[1] الأغاني (٨/ ٧٩)، نالينو (١٧).
[2] اللسان (١٢/ ٤٢٥)، (عمم).
[3] الإصابة (٣/ ٥٠٨)، (رقم ٨٦٤١)، أمالي المرتضى (١/ ٢٦٣ وما بعدها)، المرزباني (٣٢١).

ونجد في شعر (الأفوه الأودي) وهو صلاءة بن عمرو، تسجيلاً لأبناء نوح. سجلهم مع مَن سجل أسماءهم من ملوك التبابعة ممن دانت لهم الأنام، فنجده يقول:

ولما يعصها سام وحام ويافث حيثما حلت ولام[1]

ولا أدري إذا كان هذا البيت من نظم شاعر جاهلي، هو الأودي، أو من نظم شخص آخر نظمه على لسانه في الإسلام. ولكني لا أستبعد بالطبع أن يكون خبر أولاد نوح الثلاثة. وهم: سام ويافث وحام، قد عُرف عند العرب النصارى وعند من كان على احتكاك واتصال بهم.

ونجد في بيت شعر ينسب لأفنون التغلبي ذكراً لولد آدم[2]. وورود آدم في هذا البيت، إنْ صح إنه من شعر ذلك الشاعر الجاهلي، دليل على وقوف هذا الشاعر على قصة آدم وانحدار البشر من نسله. ولا يستبعد أن يكون إذن قد وقف عليها باختلاطه ببني قومه تغلب، وقد كان قسم كبير منهم قد دخلوا في النصرانية. ولا يستبعد أيضاً أن يكون بعض الوثنيين قد وقفوا أيضاً على قصة الخلق كما وردت في الديانتيْن من اختلاطهم بأهل الكتاب واتصال بهم.

وقد وردت، في بيت آخر من قصيدة يُقال إنه قالها في رثاء نفسه، لفظة (الله) في شكل يفهم منه أنه كان يدين بالتوحيد، وأن الآجال كلها بيد الله[3]، وأشار في بيت أخر إلى عاد وإرم ولقْمان وجدن[4].

وأشير في أشعار بعض الجاهلين إلى تعبد النصارى وصلواتهم سجداً وقياماً، وهؤلاء الذين أشير اليهم من الرهبان والناسكين الذين كانوا قد اعتكفوا في الصوامع وفي

[1] النصرانية (٢٦٦)، عن الأفوه الأودي راجع الأغاني (١١/ ٤١ وما بعدها)، ابن قتيبة، الشعر (١١٠)، ديوان الأفوه، (القاهرة ١٩٣٧)، (تحقيق عبد العزيز الميمني).

[2] قد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولد آدم ما يخلعوا رسني
المفضليات (٥٢٤)، النصرانية (٢٦١)، شعراء النصرانية (١٩٣).

[3] لعمرك ما يدري امرء كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
شعراء النصرانية (١٩٣).

[4] لو أنني كنت من عادٍ ومن إرم ربيت فيهم ومن لقمان أو جدن
شعراء النصرانية (١٩٣).

البيع والأديرة النائية يعبدون الله، ويدعون إلى الرب تقرباً وخشية[1]، ومنهم من ترك السجود أثراً في جباههم. وقد اطلقوا على صلواتهم هذه اسم (الصلاة). وهي من الألفاظ التي أخذها أولئك النصارى من (بني إرم). وعرفت المواضع التي كانوا يسجدون فيها بالمساجد، والمسجد هو الموضع الذي يتعبد فيه[2].

وقد كان الركوع من العادات المعروفة عند الأحناف والنصارى[3]، و« كانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكعاً إذا لم يعبد الأوثان، ويقولون: ركع إلى الله »[4]. وأما إحناء الرؤوس، فكان للتعظيم، ولذلك حنوا رؤوسهم في الكنائس ولرؤسائهم على سبيل الاحترام والتعظيم[5]. وقد كانوا يبجلون رؤوسهم وسادتهم كثيراً، ولذلك نزل الوحي بتأنيبهم وتقريعهم، إذ جعلهم هذا الاحترام في مصاف الآلهة والأرباب.

وتلحق بالصلاة التسابيح، أي ذكر الله وتقديس اسمه، وقد كان من عادة الرهبان التسبيح بعد الصلاة، ولا سيما في الضحى والعشي[6].

---

[1] قال منظور الأسدي:

كأن مهواه على الكلكل   موقع كفي راحب يصلي
في غبش الصبح أو التتلي

الألفاظ، لابن السكيت (٤١٢)، النصرانية (١٧٧).

وقال البعيث:

على ظهر عادي كأن أرومه   رجال يتلون الصلاة قيام

تاج العروس (١٠/ ٥٣)، اللسان (١٨/ ١١١)، وقال الأعشى:

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها   وإنْ ذبحت صلى عليها وزمزما
ببابل لم تعصر فسالت سلافة   تخالط قنديداً ومسكاً مختما

وقال مضرس الأسدي:

وسخال ساجية العيون خواذل   بجماد لينة كالنصارى السجد

النصرانية (١٧٧).

[2] اللسان (٥/ ١٨٧)، (سجد).

[3] النصرانية (١٧٨).

[4] تاج العروس (٥/ ٣٦٣).

[5] قال النابغة الذبياني:

سيبلغ عذراً أو نجاحاً من امرئ   إلى ربه ربّ البرية راكع

النصرانية (١٧٨).

[6] قال أمية بن أبي الصلت:

سبحانه ثم سبحانا يعود له   وقبلنا سبح الجودي والجسد

وقال الأعشى:

وسبح على حين العشيات والضحى   لا تعبد الشيطان والله فاعبدا

تاج العروس (٢/ ١٥٧)، (سبح)، اللسان (٣/ ٢١٠)، النصرانية (١٧٨).

وقد كان رجال الدين، ولا سيما الرهبان منهم، يقومـون بـالفروض الدينيـة فـرادى وجماعة، فيرتلون المزامير والأدعية بنغمات وألحان شجية. وقد عـرف ترتيـل القسيسـين (الهينم)، وذلك في حالة النغم بخفوت الصوت[١]. وإذا طرب القس في صوته خفياً قيـل لـذلك (الزمزمة)[٢]. أما إذا تغنى، فيقال لذلك الشمعلة. وقد قيل للمتغنين في تلادة الزبور (المتشمعل). وورد: « شمعلة اليهود: قراءتهم، إذا اجتمعوا في فهرهم »[٣]. وأما إذا أطلق صـوته بالـدعاء فيقال لذلك الجأر[٤]. واللحون من الكلمات التي أطلقت على ترتيل أهل الكتاب لكتبهم المقدسـة. فقد كانوا يقرؤون التوراة والإنجيل في المحافل باللحن. وقد أشـير إلـى ذلـك فـي بعـض الأحاديث[٥]. أما إذا ردد الشخص نغمات الإنجيل في حلقه، فكانوا يقولون له الترجيـع، ومنـه قولهم: رجع الإنجيل[٦].

و(التصبيغ) من الألفاظ التي كانت تدل على معنى خاص عند النصارى، هو التعميـد. وقد عرفه الجاهليون. وذكر علماء اللغة أن الصبغة الدين والملة والشريعة والفطرة والختانـة. « اختتن إبراهيم، صلوات الله عليه، فهي الصبغة.

---

[1] «الهينمة: الصوت. وهو شبه قراءة غير بينة». وأنشد لرؤبة:
لم يسمع الركب بها رجع الكلم   إلاّ وساويس هيانيم الهنم
وفي حديث إسلام عمر رضى الله عنه. قال: « ما هذه الهينمة؟ قال أبو عبيدة: الهينمة: الكـلام الخفـي لا يُفهم... وفي حديث الطفيل بن عمرو: هينم في المقام. أي قرأ فيه قراءة خفية. وقال الليث:
ألا يا قيل ويحك قم فهينم
أيْ فأدعُ الله ». اللسان (١٦/ ١٠٨)، تاج العروس (٩/ ١١١).

[2] «قال الجوهري: الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم. وفي حديث عمر، رضي الله عنه، كتب إلى أحد عماله في أمر المجوس: وإنههم عن الزمزمة. قال: هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفي. وفي حديث قبـاث بن أشيم: والذي بعثك بالحق ما تحرك به لساني لا تزمزمت به شفتاي. الزمزمة: صوت خفـي لا يكـاد يُفهم»، اللسان (١٥/ ١٦٥).

[3] تاج العروس (٧/ ٣٩٩)، (اشمعل).

[4] «جأر يجأر جأرا وجؤارا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة... وقال ثعلب: هو رفع الصوت إليه بالـدعاء. وجأر الرجلُ إلى الله عزّ وجل إذا تضرع بالدعاء. وفي الحديث: كأني أنظر إلى موسى له جؤار إلى ربـه بالتلبية. ومنه الحديث الآخر: لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»، اللسان (٥/ ١٨١).

[5] النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥٧)، معجميات (٤٢ وما بعدها)، تاج العـروس (٩/ ٣٣٠)، اللسـان (٧/ ٢٦٣).

[6] اللسان (٩/ ١٧٢)، النصرانية (٣٥٦).

فجرت الصبغة على الختانة. وصبغ الذمي ولده في اليهودية أو النصرانية صبغة قبيحة، أدخله فيها »[1]. و« كانت النصارى تغمس أبناءها في، ماء المعمودية ينصـــرونهم »[2]. وقــد صـــالح عمرُ بني تغلبَ بعدما قطعوا الفرات قاصدين اللحاق بأرض الروم، على ألا يصبغوا صبياً ولا يكرهوه على دينهم، وعلى أن عليهم الصدقة مضعفة[3]. وعرفوا (المعمودية) بقــولهم: « لفــظ معمودية معرب معموذيت بالذال المعجمة، ومعناها الطهارة. وهو ماء أصفر للنصارى يقــدس بما يتلى عليه من الإنجيل، يغمسون فيه ولدهم معتقدين أنه تطهير له كالختان لغيرهم»[4].

وقد كان نصارى الجاهلية يعمدون أولادهم، يأخذونهم أطفالاً إلى الكنـــائس لتعميــدهم على نحو ما يفعل سائر النصارى. وقد قيل له: التغميس والتصبيغ[5].

والصوم من الأحكام الدينية المعروفة عند اليهود والنصارى، وقد أشير إليه في شـــعر لأمية بن أبي الصلت وفي بيت ينسب إلى النمر بن تولب[6]. وقد عرف أهل الجاهلية أن اليهود كانوا يصومون، وقد أشير إلى صومهم في عاشوراء في أثناء الكلام على فرض الصوم علـــى المسلمين بصيامهم شهر رمضان، ولابد أن يكون للجاهليين علم بصوم النصارى كذلك، وذلك نتيجة لاتصالهم بهم واختلاطهم معهم.

ومن المصطلحات النصرانية (الحواريون)، وقصد بها رســل المســيح. وقــد وردت اللفظة في مواضع من القرآن الكريم[7]. ووردت لفظة (الحواري) في بيت ينسب إلى (ضـــابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي)[8]. وقد رجعَ بعض الباحثين

---

[1] تاج العروس (٦/ ١٩)، (صبغ).

[2] المصدر المذكور.

[3] «قال الأزهري: وسمعت النصارى غمسهم أولادهم في الماء صبغاً، لغمسهم إيــاهم فيــه»، اللســان (١٠/ ٣١٩)، فتوح البلدان (١٩٠).

[4] تاج العروس (٢/ ٤٣٢)، (عمد).

[5] السننن الكبرى (٩/ ٢١٦)، «ومنه صبغ النصارى أولادهم في ماءٍ لهم. قال الفراء: إنما قيــل صــبغة لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد المولود جعلوه في ماءٍ لهم كالتطهر، فيقولون هذا تطهير له كالختانة»، اللسان (١٠/ ٣٢٠).

[6] صدت كما صد عمّا لا يحل له ساقي نصاري قبيل الصبح صوام
النصرانية (١٧٩).

[7] آل عمران، الآية ٥٢، المائدة الآية ١١٤ وما بعدها، الصف، الآية ١٤.

[8] وكر كما كر الحواري يبتغي إلى الله زلفى أن يكر فيقتلا
المشرق، المجلد ١٩٢٩ (ص ٥٧٥ وما بعدها)، النصرانية (١٨٩).

أصل هذه اللفظة إلى لغة بني إرم ورجعها اللغويون إلى أصل عربي هـو (حـور)، وذهـب آخرون إلى أنها من أصل حبشي[1].

والصليب، من أهم المصطلحات المعروفة عند النصارى، لاعتقادهم بصلب المسيح عليه، حتى صار رمزاً للنصرانية. وصاروا يعلقونه على أعناقهم تبركاً وتيمناً به، وينصبونه فوق منائر كنائسهم وقبابها، ليكون علامة على متعبّد النصارى. وقد أقسموا به. وقـد عـرف المسلمون تمسك النّصارى به، واتخاذهم له شعاراً، حتى كان بعضهم يرسمه علـى جبهتـه، وكانوا يلثمونه ويتمسحون به تبركاً، ويزينون صدورهم به[2].

وذكر علماء اللغة (الشبر) على أنه من المصطلحات الشائعة بين النصارى. وهو على حدّ تعريفهم له: « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان، يتقربون بـه، أو القربـان بعينه »، وذكروا أيضاً أن (الشبر) الإنجيل والعطية والخير. ومن ذلك قول عديّ:

لم أخنه والذي أعطى الشبر[3]

ويظهر من كتب الحديث أن أهل الكتاب كانوا يخالفون المشركين في بعض عـاداتهم: كالذي ورد عن عبد الله بن عباس من « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم. وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يحب موافقة أهل الكتاب

---

[1] المشرق، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠)، النصرانية (١٨٩)، معجميات (١٣٩).

[2] قال الأخطل:

لما رأنـا والصليب طالعـا   خلوا لنـا راذان والمزارعـا

ديوان الأخطل (٣٠٩). وقال حجار بن أبجر:

هددني عجـل وما خلت أنني   خلاة لعجـل والصليب لها بعل

الأغاني (١٣/ ٤٧). وقال الأقيشر:

في فتية جعلـوا الصليب إلههم   حاشـاي أنني مسـلم معذور

النصرانية (٢٠٤).

ونُسب إلى عبد المطلب بن هاشم قوله:

لا يغلبـن صليبهـم   ومحالهم، عـدوا، محـالك

اللسان (١١/ ٦١٩)، (محل).

[3] تاج العروس (٣/ ٢٨٩)، (شبر).

فيما لم يُؤمر فيه بشيء. ثم فرق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه »[١]. وكالذي ورد من أن أهل الكتاب كانوا يخالفون الجاهليين في كيفية التحية عند ملاقاة أحدهم الآخر، وأن الرسول أقر المصافحة.

وقد أُطلقت لفظة (المصاحف) في شعر ينسب إلى امرىء القيس على أسفار النصارى، وهو قوله: « كخطّ زبور في مصاحف رهبان »[٢]. والكلمة على رأي بعض علماء الساميات والنصرانيات من أصل حبشي، ومفردها (مصحف)[٣]. وصحف بمعنى كتب. وقد وردت لفظة (صحيفة) في بيت ينسب إلى (لقيط الإيادي)[٤].

والمجلة من الألفاظ المعروفة بين الجاهلين. وقد اشتهرت في العربية باقترانها باسم (لقمان)، فقيل: « مجلة لقمان »[٥]. وأطلقت عند العبرانيين على أسفار الكتاب المقدس على سبيل التخصيص أحياناً وعلى باب التعميم في بعض الأحيان[٦]. وقد وردت في شعر للنابغة، هو:

مجلتهم ذات الإلـه ودينهـم　　　قويم فما يرجون غيرَ العواقب[٧]

وقصد بها كتاب النصارى، فقد مدح به الغساسنة، وهم على دين المسيح.

وقصد بالسِفر وبالأسفار الكتاب والكتب من التوراة والإنجيل، وكلمة (سفر) بمعنى كتاب[٨]. وكانت النصارى تقرأ كتبها. من الصحف[٩]، وتفسر للمستمعين ما جاء فيها من مشكل.

ولفظة (جهنم) من الألفاظ المعروفة عند اليهود والنصارى. وهي تعني

---

[1] عمدة القارئ (١٧/ ٧١).
[2] أتت حجج بعدي عليه فأصبحت　　كخط زبور في مصاحف رهبان
العقد الثمين (١٦١).
[3] النصرانية (١٨١).
[4] كتاب في الصحيفة من لقيط　　إلى من بالجزيرة من أياد
الأغاني (٢٠/ ٣٤)، النصرانية (١٨١).
[5] النصرانية (١٨١).
[6] معجميات (١٦٧ وما بعدها).
[7] «محلتهم» في بعض الروايات، ديوان النابغة (٨).
[8] اللسان (٦/ ٣٥)، الاشتقاق (١٠٣)، النصرانية (١٨).
[9] النهاية (٤/ ١٣٦).

الموضع الذي يكون فيه العذاب بعد الحشر، فيخلد فيه أصحاب الآثام والمعصية. واللفظة من أصل عبراني على رأي المستشرقين وعلماء الساميات هو (جحينوم) (جهينوم) «Gehinnom»، أي (وادي حينوم)، «Hinnom»[1]. وهو وادٍ يدور حول القدس نحو أربعة كيلومترات، ويُعرف اليوم باسم (وادي الربابي)، وقد كان اليهود الوثنيون يقربون في موضع منه يسمى (توفيث) «Topheth»، الصبيان قرابين للإلهَ (ملوخ)، «Molech» = «Moloch»، يقدمونها ذبائح محروقة إكراماً له، ثم صار هذا الموضع محلاً ترمى فيه أقذار المدينة وجثث الحيوانات، وتحرق هناك لئلا تنتشر منها الأوبئةَ، وصار الموضع رمزاً للجحيم، ومنه أخذت لفظة (جهنه) «Gehenna»، التي هي جهنم[2]، الموضع الذي يعاقب فيه المجرمون بعد الموت. وهو موضع يقع تحت الأرض، واسع جداً، وأكبر حجماً من الأرض. يلقى فيه الآثمون جزاء إثمهم في الدنيا ومخالفتهم شريعة الرب. فيبقون فيه يعذبون. وقد اختلف في موضوع أبدية التعذيب وبقاء وجهنم، فمنهم من رأى أن جهنم خالدة، وأن العذاب أبدي، ومنهم من ذهب إلى أنها ترفع بعد انتهاء التعذيب[3].

وقد وردت لفظة جهنم في مواضع متعددة من شعر أمية بن أبي الصلت، كما ورد فيه وصفها وكيفية التعذيب فيها[4]. ولمعرفة أصل هذا الشعر: هل هو

---

[1] Ency., I, p. 998, Shorter Ency., p. 81.

[2] Hastings, p. 285.

[3] متى، الأصحاح الخامس، الآية ٢٩، الإصحاح العاشر، الآية ٢٨، Hastings, p. 285 .

[4] «ورد في تأريخ دمشق لان عساكر (٣/ ١٢٤): قال عبد الله بن مسلم الدينوري: سُئلت هل وجدتم لجنهم ذكراً في الشعر القديم، فقلت: هذا يحتاج إلى تتبع وطلب. وقد أتذكر فلم أذكر إلاّ شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت، فإنه قال:

فلا تدنو جهنم من برئ ولا عدن يطالعها أثيم
إذا شبت جهنم ثم وارت وأعرض عن قوانسها الجحيم

وروي البيت في المخصص (٩/ ٦):

جهنم لا تبقي بغيا وعدن لا يطالعها رجيم

وذكر للعديل بن الفرخ (ياقوت ٤/ ١١٧) قوله في نار جهنم وجنة الخلد:

أما ترهبان الدار في ابني أبيكما ولا ترجوان الله في جنة الخلد

وقد ورد اسم جهنام في شعر الأعشى. قال (التاج ٧/ ٣٧٢):

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنما جدعا للهجين المذمم»

النصرانية (٤٦٢ وما بعدها).

من شعر امية حقاً، أو من شعر آخرين وضعوه على لسانه، لا بد من دراسته ومقارنتــه بمــا جاء في الإسلام عن وصف جهنم وكيفية التعذيب فيها. وهناك رواية تنفي ورود لفظة جهــنم في أي شعر جاهلي خلا هذا الشعر المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت، ويلاحــظ أنــه ذكــر (عدن) مع جهنم.

ولم أجد في أشعار الجاهليين ذكراً للإنجيل، إلاّ في الشعر المنسوب إلى (عدي بن زيد العبادي)[1]. وربما في شعر عدد قليل آخر من الجاهليين، لم أقف عليه. غيــر أن عــدم ورود اللفظة كثيراً في هذا الشعر، لا يدل على عدم معرفة الجاهلين لها، ودليلنا على ذلك ورودهــا في مواضع من القرآن الكريم. وورودها فيه دليل على وقوف الجــاهلين عليهــا واســتعمالهم اياها، وأصلها من اليونانية، وقد وقف العرب عليها من السريانية أو من الحبشية[2]. وقد ذكرت فيما سبق أن نفراً من أهل الكتاب كانوا قد أقاموا بمكة وكــانوا يقــرأون التــوراة والإنجيــل بألسنتهم، فلا يستبعد إذن وقوف بعض الجاهليين، ولا سيما المثقفين منهم وأصحاب التجــارات الذين كانوا يقصدون الحيرة وبلاد الشأم ونجران للتجارة وكان لهم اتصال وثيق بنصارى هذه الأرضين على الإنجيل وعلى الكتب الأخرى التي كان يستعملها رجال الكنيسة لافهام النــاس أمور الدين.

ويظهر من بعض روايات الأخباريين أن بعض أهل الجاهلية كانوا قد اطلعــوا علــى التوراة والإنجيل، وأنهم وقفوا على ترجمات عربية للكتابيْن. أو أن هذا الفريق كان قد عــرب بنفسه الكتابين كلاّ أو بعضاً، ووقف على ما كان عند أهل الكتاب من كتب في الدين. فــذكروا مثلاً أن (ورقة بن نوفل) « كان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شــاء الله أن يكتب »، وقالوا: « وكان امرؤ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب »[3]. وذكروا مثل ذلك عن (أمية بن أبــي الصــلت)، فقالوا إنه كان قد قرأ الكتب المقدسة[4]، وقالوا مثل ذلك عن عدد من الأحناف.

---

1 وأوتينا الملك والإنجيل نقرؤه   نشفي بحكمته أحلامنــا عللا
الحيوان (٤/ ٦٤)، النصرانية (١٨٥).

2 اللسان (١٣/ ١٧١)، النصرانية (١٨٥)، Shorter Ency., p. 168 .

3 راجع ما كتبته عنه في فصل الأحناف، Sprenger, Leben, I, S. 128 .

4 ابن قتيبة، الشعر والشعراء (١٧٦).

وإذا كانت هذه الروايات صحيحة، فإنّها تدل على أنّ الجاهليين كانوا قد وقفوا على ترجمة العهديْن. ويرى بعض المستشرقين احتمال ترجمة العرب للكتاب المقدس قبل الإسلام وعند ظهوره، ترجمة من اليونانية على الأرجح. وقد استندوا في ذلك إلى خبر ذكره (ابن العبري) «Barkebraeus»، يفيد أن البطريق (المنوفيزيتي) المدعو (يوحنا) «Monophysite Patriarch Johannes» كان قد ترجم الكتاب المقدس إلى أمير عربي اسمه (عمرو بن سعد) وذلك بين سنتيْ (٦٣١) و(٦٤٠) للميلاد، والى أخبار أخرى تفيد أن بعض رجال الدين في العراق كانوا قد ترجموه إلى العربية وذلك قبيل الإسلام وعند ظهوره[1].

لا يستبعد وجود ترجمات للكتاب المقدس في الحيرة، لما عرف عنها من تقدم في الثقافة وفي التعليم، ولوجود النصارى المتعلمين فيها بكثرة. وقد وجد المسلمون فيها حينما دخلوها عدداً من الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة وتدوين الأناجيل، وقد برز نفر منهم، وظهروا في علوم اللاّهوت، وتولوا مناصب عالية في سلك الكهنوت في مواضع أخرى من العراق، فلا غرابة اذا ما قام هؤلاء بتفسير الأناجبل وشرحها للناس للوقوف عليها. وقد لا يستبعد تدوينهم لتفاسيرها أو لترجمتها، لتكون في متناول الأيدي، ولا سيما بالنسبة إلى طلاب العلم المبتدئين. وقد لا يستبعد أيضاً توزيع بعض هذه الترجمات والتفاسير إلى مواضع أخرى لقراءتها على الوثنيين وعلى النصارى للتبشير[2].

ونجد في كتب الأخباريين وفي كتب قصص الأنبياء وفي القصص المدونة عن الماضين قصصاً وأمثلة وكلاماً يرجع أصله إلى بعض أسفار التوراة أو إلى الأناجيل، غير أننا لا نستطيع أن نؤكد أن هذا المدون قد نقل عن الجاهليين، وأن أهل الجاهلية كانوا يعرفونه، وأنه ليس مما قصه أهل الكتاب أو مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه على المسلمين، فدخل بينهم. ثم إن القصص أكثره من (التلمود) و(المشنا) والكتب غير القانونية، روي بشكل فيه بُعْدٌ في بعض الأحيان عن هذا المدون المعروف، وهو يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في الحكم على مدى معرفة العرب بعلم أهل الكتاب.

[1] Sprenger, I, S. 131.
[2] Ency., II,p 504.

وللأسماء أهمية كبيرة في تعيين مبلغ أثر لليهودية والنصرانية في الجاهليين. وإذا كانت أسماء الوثنيين قد ساعدت (ولهوزن) في الكشف عن أسماء أصنام وأوثان لم ترد في كتاب الأصنام لابن الكلبي ولا في كتب الأخباريين الأخرى، وساعدت في الكشف عن مدى تغلغل الوثنية في نفوس أهل الجاهلية، فإن للأسماء اليهودية أو الأسماء النصرانية التي تسمى بها أهل الجاهلية والتي وصل خبرها إلينا أهمية كبيرة في الإفصاح عن مدى تأثر الجاهليين بالديانتيْن. وليس من اللازم أن تكون هذه الأسماء أسماء أناس كانوا على دين يهود، أو على دين النصرانية، فالأسماء وإنْ كان لها ارتباط في الغالب بأديان حامليها غير أنها لا تكون دائماً دليلاً على دين أصحابها، فلبيئة ولبعض العادات والاعتقادات دخل في اختيار الأسماء. وعلى ذلك فإن ما سنذكره من أسماء لا نذكرها على أن أصحابها كانوا يهوداً أو نصارى حتماً، وإنما نذكرها على سبيل الإشارة إلى أن بعض الجاهليين كانوا يحملون أسماء هي في الغالب من أسماء اليهود والنصارى.

وفي طليعة هذه الأسماء التي يجب أن نذكرها، الأسماء الواردة في التوراة والإنجيل، فهي أسماء عبرانية ونصرانية معروفة، وبها تسمّى كثير من اليهود والنصارى. ودخولها بين الجاهليين العرب دليل على وجود بعض تلك المسميات بينهم، وتسمى أهل الجاهلية بتلك الأسماء.

ومن جملة تلك الأسماء: آدم وقد دعي يه آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. قُتل في الجاهلية، وهو الذي وضع النبي دمه يوم فتح مكة. وقد جاء (ابن دريد) بتفسير لهذه التسمية فذكر أنها من الأدمة أو بمعنى الطويل القامة ذي العنق الناصع، ولم يشر إلى وجود علاقة لها باسم آدم أبي البشر[1]. غير أني لا أستبعد احتمال أخذها من التسميات التي كانت بين اليهود أو النصارى عند الجاهلين. غير أننا لا نعرف من أمثال هذه التسميات غير عدد قليل محدود بحيث لا يمكن أنْ نتّخذها قاعدة لبناء حكم عليها في ورود هذه التسمية عند الجاهلين.

وأكثر من هذه التسمية شيوعاً اسم (إبراهيم)، ومن جملة من تسمى بها: إبراهيم جد عدي بن زيد بن حمّان بن زيد بن أيوب من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم. فولد أيوب إبراهيم وسلم وثعلبة وزيد. منهم عدي بن زيد

[1] الاشتقاق (٤٤)، النصرانية (٢٢٨).

ابن حمان بن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر. ومنهم مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب، الذي نُسب إليه قصر مقاتل. وقال ابن الكلبي: لا أعرف في الجاهلية من العرب أيوب وإبراهيم غير هذيْن، وإنما سميّا بهذيْن الاسمين للنصرانية[1].

وممن سمُي بإبراهيم: إبراهيم بن كُتيف النبهاني، وهو شاعر قديم، وإبراهيم الأشهلي، وإبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي القرشي، وأبو رافع إبراهيم القبطي، وهو من موالي الرسول، وإبراهيم بن عبّاد الأوسي، وإبراهيم بن قيس بن حجر بن معديكرب الكندي، وإبراهيم النجّار وهو الذي صنع المنبر لرسول الله. وأكثر هؤلاء هم من الذين عاصروا الرسول وكانوا من صحابته[2]. ويجب ألاّ ننسى أنّ الرسول سمّى ابنه الذي توفي صغيراً في حياته إبراهيم[3].

وعُرف من الصحابة رجل اسمه (إِسحاق الغنَوَي)[4]، وعُرف ثلاثة صحابيين باسم (إسماعيل)[5]. وأما (أيوب)، فقد عُرف به (أيوب بن مجروف) جدّ عدي بن زيد العبادي، وأيوب بن مكرز، كما تكّنى به أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري من الصحابة، وهو الذي نزل عليه الرسول يوم مقدمه إلى يثرب مهاجراً من مكة[6].

واسم (داوود) من الأسماء التي وردت في جملة أسماء ملوك بني سليح، فذكر منهم (داوود اللثق)[7]. وأظن أن لفظة (دؤاد) التي كُنّي بها الشاعر الجاهلي أبو دؤاد الإيادي هي من داوود[8]، وإنْ ذهب المفسرون فيها مذهباً آخر فقالوا إنها من الدُود والدوادة والدودة وأمثال ذلك[9]. وعرف شاعر آخر باسم

---

[1] تاج العروس (١/ ١٥١)، (أوب)، النصرانية (٢٢٩).
[2] أسد الغابة (١/ ٤٠ وما بعدها)، الإصابة (١/ ٢٥ وما بعدها)، النصرانية (٣٢٩).
[3] ابن هشام (١/ ٢٠٦).
[4] أسد الغابة (١/ ٦٨)، الإصابة (١/ ٤٧)، (رقم ٩٤)، النصرانية (٢٢٩).
[5] أسد الغابة (١/ ٧٩)، الإصابة (١/ ٥٥ وما بعدها)، النصرانية (٢٣٠).
[6] ابن هشام (٢/ ٦٦، ١٢٥، ١٤٤، ١٥٠، ٣٠٥)، (٣/ ٣٤٧، ٣٩٢)، الاشتقاق (٢٦٦).
[7] الاشتقاق (٣١٩)، النصرانية (٥٣٢).
[8] النصرانية (٢٣٢).
[9] الاشتقاق (١٠٤).

داوود بن حمل الهمداني[١]، ومن الأنصار رجل اسمه داوود بن بلال[٢] وصحابي اسمه داوود بن سلمة الأنصاري[٣].

وقد عرف داوود في الشعر الجاهلي بنسجه الدروع حتى ضُربت بدروعه عندهم المثل. وهي في نظرهم دروع قوية ممتازة، صنعها كل من الحديد الذي كان يلين بين يديه[٤]. وقد تكرر ورود ذلك في أشعار جملة شعراء، مما يدل على أنها كانت معروفة بين الجاهليين مشهورة. هذا ولا بد أنْ يكون لذلك أصل بعيد ظهر من قصص بني إسرائيل عن داوود وعن ملكه وحروبه وتغلبه على خصومه، هذا القصص الذي جعل من داوود رجلاً لا يستطاع التغلب عليه بفضل الحديد الذي لان بين يديه، فصار دروعاً لا تمضي فيه سيوف المقاتلين.

---

[1] النصرانية (٢٣٢).
[2] أسد الغابة (٢/ ١٢٩)، الإصابة (١/ ٤٦٣)، (رقم ٢٢٧٨ و٢٢٨٨)، الإصابة (٤/ ١٦٩)، (٩٨٨).
[3] الإصابة (١/ ٤٦٣).
[4] قال طرفة:

وهم ما هم إذا ما لبسوا نسج داوود لباس محتضر

النصرانية (٢٧٢)، شعراء النصرانية (٣٠٩)، ديوان طرفة (٥٨).

وقال حصين بن الحمام المري:

صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داوود بهما

الحماسة لأبي تمام (١٨٩)، النصرانية (٢٧٣).

وقال حسيل بن سجيع الضبي:

وبيضاء من نسج ابن داوود نثرة تخيرتها يوم اللقاء ملابسا

الحماسة لأبي تمام (٢٨٤)، النصرانية (٢٧٣).

وللبيد:

ونزعن من داوود أحسن صنعه ولقد يكون بقوة ونعيم
صنع الحديد لحفظه أسراده لينال العيش غير سروم

ديوان لبيد (٨٣)، (طبعة الخالدي)، النصرانية (٢٧٣).

وللأعشى:

ومن نسج داوود يجدي بها على أثر العيس عير فعيرا

النصرانية (٢٧٣)، شعراء النصرانية (٣٨٨).

ولسلامة بن جندل:

مداخلة من نسج داوود شكلها كحب الجنا من أبلم متفرق

وله أيضا:

من نسج داوود وآل محرق غال غرائبهن في الآفاق

النصرانية (٢٧٣).

ولم يخلُ شعر الأعشى من اسم داوود، فورد في مناسبة التحدث عن حوادث الزمان واعتداء الدهر على الإنسان، وتبدل الأيام، كما في موضع آخر في كلامه على الدروع[1]. أمّا عبيد الأبرص، فقد ذكره في أثناء كلامه على طول العمر[2].

وعرف (سليمان) في أبيات للنابغة قالها في مدح النعمان ملك الحيرة بتسخيره الجنّ لبناء تدمر[3]. وعرف بمثل ذلك وببنائه الأبنية الفخمة وبسعة ملكه في شعر لشعراء آخرين[4]. واذا كان ما نسب إلى أولئك الشعراء صحيحاً، كان رأيهم هذا في سليمان بتأثير ما كان يقصه أهل الكتاب على الجاهلين من قصص وارد في العهد القديم، في سفر الملوك الثالث وأخبار الأيام الثاني عن ملكه وعجيب أبنيته[5].

وقد ورد اسم سليمان علماً لجملة رجال، عاشوا في الجاهلية وفي أيام الرسول، فهناك حاكم من حكام العرب المعروفين في الجاهلية اسمه (سليمان بن نوفل)[6].

1

ومر الليالي كل وقت وساعة — يزعزعن ملكا أو يباعدن دانيا
وردن داؤد حتى أبدنه — وكان يغادي العيش أخضر صافيا

الحماسة، للبحتري (٩٠)، النصرانية (٢٧٢).

2

وطلبت ذا القرنين حتى فاتني — ركضاً وكدت أرى داؤودا

خزانة الأدب (١/ ٣٢٣)، النصرانية (٢٧٢).

3

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه — ولا أحاشي من الأقوام من أحد
إلاّ سليمان، إذا قال الإله له: — قمْ في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن أني قد أذنت لهم — يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فاخضعه بطاعته — كما أطاعك وأدلِله على الرشد
من عصاك فعاقبه معاقبة — تنهي الظلوم لا تعقد على أحد

العقد الثمين (٧)، شعراء النصرانية (٦٦٣)، النصرانية (٢٧٤).

4 قال الأعشى:

فلو كان حياً خالداً ومعمراً — لكان سليمان البري من الدهر
يراه إلهي واصطفاه عبادة — وملكه ما بين سرفي إلى مصر
وسخر من جن الملائك شيعة — قياماً لديه يعملون بلا أجر

البدء والتأريخ (٣/ ١٠٨)، النصرانية (٢٧٤)، وله أيضاً:

فذاك سليمان الذين سخرت له — مع الإنس والجن والرياح والمراخيا

الحماسة، للبحتري (٨٦ وما بعدها)، النصرانية (٢٧٥).

5 النصرانية (٢٧٣).

6 اليعقوبي (١/ ٢٩٩)، النصرانية (٢٣٢).

وهناك جملة من الصحابة عُرفوا بسليمان[1]. ومن هذه اللفظة نشأت الأسماء: سليمان وسلام، وسُليم، كما يتبين ذلك من أبيات للأسود بن يعفر[2] والحطيئة[3] والنابغة[4]. وعُرف بسلمان رجل من نصارى بني عجل اسمه سلمان العجلي.

وهناك طائفة لأسماء نصرانية خالصة تسمى بها نفر من الجاهلين قبل الإسلام، مثل: عبد المسيح، وعبد ياسوع، وعبد يسوع، وعبد يشوع، وايشوع، وأبجر. وقد عُرف بأبجر عدد من ملوك الرها، كما عرف بها أبجر بن جابر سيد بني عجل، وأفريم، وبولس، وجرجس، وجريج، ورومان، وررومانوس، وسرجس، وسمعان، وشمعون، ونسطاس، وحنين، و(حنيناء) و(يحنة)[5]. ومن أسماء النساء: مارية، ومريم، وحنة[6]، ومن بين هذه الأسماء ما كانت خاصة بطبقة الموالي الذين جلبوا من الخارج، وبيعوا في أسواق النخاسة، فحافظوا على أسمائهم القديمة التي تشير إلى أصولهم في النصرانية.

ونرى ورود (عبد المسيح) بين أسماء أهل الحيرة بصورة خاصة، ورد علماً لأناس معروفين جداً بينهم، وكانوا عليهم زعماء، مثل عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقيلة، وكان في جملة من خرج لملاقاة خالد بن الوليد

---

[1] مثل سليمان بن الحارث، الاشتقاق (٢/ ٣١٨)، وسليمان الليثي بن أكيمة، وسليمان بن أبي حتمة القرشي، وسليمان بن صرد الخزاعي، وسليمان بن عمرو بن حديدة، وسليمان بن مسهر، وسليمان بن هاشم بن عتبة القرشي، أسد الغابة (٢/ ٣٥٠ وما بعدها)، الإصابة (٢/ ١٢٨ وما بعدها)، النصرانية (٢٣٢)، تاج العروس (٨/ ٣٤٤).

[2] ودعا بمحكمة أمين سكها ... من نسج داوود أبي سلام
تاج العروس (٨/ ٣٤٤).

[3] فيه الرماح وفيه كل سابغة ... جدلاء محكمة من نسج سلام
النصرانية (٢٣٢).

[4] وكل صموت نثلة تبعية ... ونسج سليم كل قضاء ذائل
ديوان النابغة (٩٩)، النصرانية (٢٣٣)، «أراد نسج داوود، فجعله سليمان ثم غيّر الاسم، فقال سلام وسليم. ومثل ذلك في أشعارهم كثير. قال ابن بري: وقالوا في سليمان اسم النبي، صلى الله عليه وسلم، سليم وسلام فغيره ضرورةً»، اللسان (١٥/ ١٩٢ وما بعدها)، تاج العروس (٨/ ٣٤٤).

[5] البكري، معجم (٤/ ٥٨٠)، تاج العروس (٩/ ١٨٦).

[6] النصرانية (٢٣٩)، وقد أورد قائمة بالأسماء النصرانية، وأورد أمثلة لمن تسمّى بها قبل الإسلام من الجاهليين، البكري، معجم (٤/ ٥٧٨)، «دير حنة».

للاتفاق معه على شروط الصلح[1]. وعادة جعل المرء نفسه عبداً لإلَه أو لشخص مقدس، كما في هذه التسمية، لم تكن من العادات الخاصة بالنصارى، فقد رأينا أن أكثر الجاهلين كانوا يجعلون أنفسهم عبداً لإلهَ من الآلهة، ثم يتخذون ذلك تسمية لهم، مثل عبد العزى، وعبد يغوث، وعبد ودّ، وأمثال ذلك. فلما كانت النصرانية، تبرأ من تنصر من اسم الآلهة الوثنية، وأحلوا محلها اسم المسيح.

وكان اسم والد حنظلة صاحب دير حنظة الذي بأرض بني علقمة بالحيرة (عبد المسيح)، ويذكر الأخباريون أنهم وجدوا على صدر الدير كتابة مكتوبة بالرصاص على ساج محفور: « بني هذا الهيكل المقدس، محبة لولاية الحق والأمانة، حنظلة بن عبد المسيح، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه، وكما يذكر أولياؤه بالعصمة، يكون ذكر الخاطىء حنظلة »[2].

غير أن هذه الأسماء اليهودية الأصل أو النصرانية قليلة الاستعمال، فلم تكن مستعملة بنطاق واسع. وأكثر من تسمى بها، هم من الموالي والأرقاء، أو من العرب الذين كانوا على أطراف العراق وبلاد الشأم، وممن تأثر بالمؤثرات الثقافية الأعجمية، أو ممن كان على يهودية أو نصرانية، فتسمى بأسماء محببة أو مباركة في هاتيْن الديانتيْن.

وأهل نجران، هم الذين كانوا يجادلون الرسول في طبيعة المسيح، فلم يكن بمكة أو بيثرب قوم منهم يستطيعون مجادلته في أمور الدين. وقد ذكر بعض المفسرين أن أهل نجران كانوا أعظم قوم من النصارى جادلوا الرسول في عيسى. جاؤوا إلى الرسول، فقالوا له: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله. فقال: أجل إنه عبد الله. قالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أُنبئت به، ثم خرجوا من عنده غاضبين. وقالوا إنْ كنت صادقاً، فأرنا عبداً يحيي الموتى ويبرىء الأكمه، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه، فلما عادوا قال رسول الله: مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون[3].

---

[1] البلاذري، فتوح (٢٥٢)، المعمرون، للسجستاني (٣٨)، «طبعة كولدتزيهر»، المشرق، السنة السابعة عشرة، (١٩١٤)، (ص ١٣٢)، البلدان (٢/ ٦٧٧).
[2] البكري، معجم (٢/ ٥٧٢)، (دير حنظلة).
[3] تفسير الطبري (٣/ ٢٠٧ وما بعدها).

وقد جادل بعض النصارى رسول الله في أمور الدين، ثم أسلموا. ونظراً لقلة عـددهم بيثرب، لم يقاوموه هنا كما قاومه اليهود.

وطبيعي أن يتأثر نصارى الجاهلية بلغة بني إرم، فيستعملوا المصطلحات الدينية التـي كانت شائعة في الكنيسة، وهي مصطلحات آرمية الأصل في الغالب: فقد كانت لغـة بنـي إرم لغة العلم والدين عند النصارى الشرقيين. بها يقيمون طقوسـهم الدينيـة. ومنهـا يترجمـون الأناجيل إلى أتباعهم النصارى العرب، فدخلت بذلك إلى العربيـة ألفـاظ آرميـة ذات معـان خاصة. ومنها الألفاظ التي تكلمنا عنها وألفاظ أخرى عديدة لم نتطرق إليها، لعدم وجود صـلة لها بهذا الموضوع، وخشية الإطالة والخروج على صلب الموضـوع. وهنـاك مصـطلحات يونانية ولاتينية وحبشية، لها صلة بالدين وبالمجتمع دخلـت العربيـة أيضـاً عـن طريـق النصرانية، ظهر أثرها في نصارى بلاد الشأم والعربية الغربية خاصـة، بتـأثير الاحتكـاك المباشر والتبشير.

وقد عني بعض الباحثين بجمع المصطلحات الدينية المعروفة عند أهـل الكتـاب فـي الجاهلية والتي أقرها الإسلام على نحو ما كانت تعرف به، أو أعطاها معنـى خاصـاً، ومـن بينها عدد كبير ورد في القرآن الكريم[1]. ولما كانت غالبية العرب على الوثنية، وهـي ديانـة بسيطة قليلة الشعائر بالنسبة إلى اليهودية والنصرانية، لذلك كانت هذه المصـطلحات شـائعة معروفة بين أهل الكتاب من الجاهليين، وقد نقلوها من اللغات الدينية التي كتب بها علماء أهل الكتاب، فهي في الغالب من أصل سرياني أو عبراني أو يوناني أو حبشي.

وقد جمع الأب (شيخو) في كتابه: (النصرانية وآدابها بين عـرب الجاهليـة) الألفـاظ الخاصة بأهل الكتاب من الأبيات الواردة في دواوين شعراء الجاهلية وفي كتب الأدب، وهـي أبيات منها ما أجمع الرواة وأهل الأخبار على نسبتها إلى أولئك الشعراء، ومنها ما ورد عنـد بعض الرواة والأخباريين ولم يرد في دواوين أولئك الشعراء، ليجعل من تلك الألفـاظ دلـيلاً على أثر النصرانية في الجاهليين، وعلى مدى تغلغلها بينهم. وهو حكـم لا يمكـن أن يكـون سليماً، إلاّ بعد ثبوت صحة نسبة تلك الأبيات إلى الجاهليين.

---

[1] Nöldeke, Neue Beiträge zur Semit. Sparad., S. 1, ff., J. Horovitz, Jewish Proper Names and derivatives in Koran, 145, R. Bell, The Origin of Islam in its Christian Environment, London, 1926.

وقد كان للنصرانية أثر مهم في نشر الكتابة العربية، المأخوذة عن الآرمية، بين الجاهليين، الكتابة التي تولد منها قلمنا الذي نكتب به في الوقت الحاضر. وقد وجد المسلمون في فتحهم للعراق مدارس عديدة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، كما أن تجار مكة ويثرب الذين كانوا يقصدون الشأم والعراق وجدوا الضرورة تحتم عليهم تعلم هذا الخط، فتعلّموه. ولما نزل الوحي كتب كتابه به، فصار قلم المسلمين. كما سأتحدث عن ذلك في موضوع الخط عند الجاهليين.

ولم يترك رجال الدين من النصارى العرب لنا أثراً كتابياً ينبىء عن مدى اشتغالهم في علم اللاهوت وفي العلوم الأخرى، غير أن هذا لا يعني أن النصارى العرب لم يزجوا علماء دين منهم، ولم يعطوا النصرانية رجلاً منهم يخدمها ويقف حياته الروحية عليها، ففي قوائم أسماء من حضروا المجامع الدينية التي عقدت للنظر في الأمور الجدلية وفي القضايا التي تخص مبادئ الدين أسماء رجال تنبئ أنهم كانوا عرباً، وقد دونت في محاضر تلك المجالس أسماء المواضع التي مثلوها من بلاد العرب، كما أن بين رجال الدين الكبار الذين نبغوا في العراق من كان أصله من الحيرة، وإذ كانت غالبية سكان هذه المدينة من العرب، فلا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء العلماء النصارى الحيريين من كان من أصل عربي.

لقد كانت النصرانية عاملاً مهماً بالطبع في إدخال الآراء الإغريقية والسريانية إلى نصارى العرب، فقد كانت الكنيسة مضطرة إلى دراسة الإغريقية ولغة بني إرم، لما للغتيْن من قدسية خاصة نشأت من صلتهما بالأناجيل. وقد كان أثر الآرمية أهم في الكنيسة الشرقية من الإغريقية، لكونها لغة الثقافة في الهلال الخصيب في ذلك العهد. ولهذا وجدنا معظم التعابير والمصطلحات الدينية عند نصارى الشرق هي من هذه اللغة، ومنها أخذها النصارى العرب، فصارت عربية، وقد كان السريان قد نقلوا بعض مؤلفات اليونان واللاتين إلى لغتهم، ولا أستبعد نقلهم بعض تلك المؤلفات، ولا سيما الدينية منها، من هذه اللغة إلى اللغة العربية، وذلك قبل الإسلام، أو ترجمتها ترجمة شفوية لطلاب العلم من العرب ممن كانوا لا يفقهون لغة بني إرم، أو لا يلمّون بها إلماماً صحيحاً. وإذ كانت هذه اللغة لغة مقدسة ولغة الكنيسة الرسمية، وكان أكثر رجال الدين من بني إرم، فقد كانت هذه اللغة اللغة المقررة في الكنيسة، بها يدرس ويتباحث رجال الدين وإنْ كانوا عرباً، على نحو ما يفعله رجال الدين الأعاجم الذين يدرسون العربية بعلومها المختلفة

ليتفقهوا بذلك في الدين، والعربية هي لغة الدين الإسلامي، وكما يفعل رجال الدين الكاثوليك أيضاً في دراستهم اللاتينية وتبحرهم بها لأن اللاتينية هي لغة النصرانية عند الكاثوليك.

وكان للنصرانية أثر آخر في نصارى عرب الجاهلية، هو أثرها فيهم من ناحية الفن، إذ أدخلت النصرانية بين العرب فناً جديداً في البناء، هو بناء الكنائس والأديرة والمذابح والمحاريب والزخرفة، كما أدخلت النحت والتصوير المتأثرين بالنزعة النصرانية. ولدخول أكثر هذه الأشياء لأول مرة بين الجاهليين، استعملت مسمياتها الأصلية اليونانية أو الآرمية في اللغة العربية، بعد أن صقلت وهُذّبت، حتى اكتسبت ثوباً يلائم الذوق العربي في النطق. وستكشف الحفريات في المستقبل عن مدى تأثر النصارى العرب الجاهليين بالفن النصراني المقتبس عن الروم أو عن بني إرم والأحباش.

فهرس